

ناجرا البنياقيّة

ولم شكسبير



دار المعارف بمصر

تعريب
خليل مطران

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب / عبد الحميد سلطان

الإسكندرية

ناجر البندقيّة

وليم شكسبير

تعريب
خليل مطران



الطبعة الثامنة



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع .

دراسة لمسرحية تاجر البندقية

عجمل الرواية

أنطونيو تاجر شريف النفس نزيه الطعمة من تاجر البندقية ، وقد سميت الرواية باسمه ، وعلى الرغم من استقامة الخلق عنده فإن موجة من الحزن تغلب على مزاجه . وقد حاول نفر من أصدقائه — وهم سالانيو وسالارينو وجراتيانو وباسانيو أن ينزعوا منه هذه التزعة الخزينة بإصفاهم الوديايه .

وكان باسانيو أدنى الأصدقاء مرتبة إلى قلب أنطونيو وأصفاهم له وداذاً ، وهو شاب أعانه شبابه الغض وكرمه الواسع على أن يفقد ثروته . وكان قلب باسانيو يخفق بحب فتاة ثرية واسعة الميراث اسمها بورسيا ، وهبت لها الأقدار من فضائل النفس ومواهب الخلق قدر ما وهبت لها من واسع الثراء . وقد أعانها مالها وفضائل النفس التامة فيها على أن يتقدم لهاها الخطّاب من طبقة الأمراء والأشراف ليظفروا بها زوجة نادرة المثال . وكان من خطّابها أمير مراکش وهو شاب أسمر الأديم لوّحته الشمس في مسقط رأسه ، وأمير أراغون ، وأمير نابلي ، وأمير ألماني ، وشريف إنجليزى ، ونبييل

إسكتلاندى . ودخل باسانيو بين هؤلاء الخطّاب المثرين لعله يفوز بالفتاة
بورسيا دوّهم جميعاً .

ولم يكن أمر اختيار زوج من هؤلاء الخطّاب موكولا إلى إرادة الفتاة
نفسها ، ولكن أباهأ أوصى قبل وفاته أن يكون ذلك إلى اقتراع على صندوق
من صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والآخر فضى ، والثالث من مادة
الرصاص . وفى هذا الأخير صورة لبورسيا ، فن وقع اختياره من الخطّاب
على الصندوق الرصاصى كانت الفتاة من نصيبه ، وكان جديراً بالاقتران بها .

ودخل باسانيو بين الخطّاب وهو مفلس من المال وغنى بالحب الممتلج
فى قلبه ، فاضطر أن يقترض المال الذى يتقرب به إلى بورسيا حتى يليق
به موضعه بين الخطّاب . فلجأ إلى صديقه الولى أنطونيو — أوتاجر البندقية —
الذى كانت أمواله وعروضه كلها على سفنه وفلكه المشحون فيما وراء
البحار . فاضطر أنطونيو — وفاء بحق صديقه باسانيو — أن يقترض
المال باسمه من يهودى فى مدينة البندقية اسمه شيلوك . وقبل أنطونيو الرق
شرطاً وضعه اليهودى فى الصك ، وهو أنه إذا فات الأجل المضروب لوفاء الدين
استحق شيلوك اليهودى على أنطونيو المسيحى أن يقطع رطلا من اللحم
من صدره . . . وقد رضى أنطونيو بهذا الشرط القاسى الوحشى قياماً بحق
صداقة باسانيو عليه . ورضى أن يقترض من شيلوك على الرغم من
كراهته له واحتقاره إياه ، لأنه كان نهائياً لساحة النصارى من أهل

البندقية الذين كثيراً ما أودوا من ريباه الفاحش .
وتقدم باسانيو ليخطب بورسيا على الطريقة التي أوصى بها أبوها الميت
من الاقتراح على الصناديق . وقد أدنى الطمعُ الخطاب من الصندوق
الذهبي أو الفضي فباءوا بالخيبة في خيرة لم يكن لهم فيها الخير . . وكأنما
ألم باسانيو الخير الذي شاءه الله له — كما تقضى بذلك حبكة الرواية —
فوقع اختياره على الصندوق الرصاصي الذي يبشر مختاره بقبوله زوجاً لهذه
الفتاة الثرية العاقلة .

وبينما باسانيو في نشوة أفراحه لخروج الاقتراح على ما يهواه ، ولظفره
بفتاة أحلامه إذا به يعلم أن خسراً كبيراً قد حل بعروض أنطونيو وأزسفته
قد تعرضت لثورة البحار ، وأنه أصبح بذلك عاجزاً عن الوفاء بدين اليهودي
في أجله . وأن اليهودي قد أمعن في المطالبة بتنفيذ حرفة الصك —
أي اقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو — ما دام قد فات أوان
أداء الدين .

وترك باسانيو عروسه الجميلة في زحمة الأفراح بالزواج منها ، مصمماً
على أن يخلص حياة صديقه الوفي أنطونيو من يد شيلوك اليهودي الذي
لا يرحم ، ولو كان في ذلك حثفه هو . لأنه لا ينسى أن أنطونيو استدان
المال من اليهودي لأجله هو لا لأجل نفسه .

ولما علمت بورسيا بالأمر كله وطدت عزمها على أن تدافع عن
أنطونيو وأن تخلصه من المحنة التي وقع فيها مع شيلوك المصمم على الوفاء

بشرط الصك ، وهو اقتطاع رطل من لحم أنطونيو الذى لا يتفعه الآن في نظر اليهودى مال مهما طال . . .

وتنكرت بورسيا في زى محام من الفتيان وأجادت الدفاع عن أنطونيو الذى لم يعرفها ، كما لم يعرفها زوجها باسانيو ، لأنها كانت متنكرة . واستطاعت في ذكاء وحسن حيلة أن تحيل شيلوك اليهودى إلى راجٍ ذليل . . . فقد استعملت شرط اقتطاع اللحم ضده ، مصممة على أن يكون اللحم بلا قطرة من دم ، تمشياً مع حرفية النص الذى ينص على أن رطل اللحم بلا دم . . . وهكذا كان القانون على شيلوك لاله ، واضطرته بورسيا - وهى في ثوب فتى محام - أن يكتب أمام دوق البندقية عهداً على نفسه بأن ينزل عن كل ثروته يوم وفاته لابنته جسيكا التى كانت سرقت قسطاً من ذهب أبيها وأثمن جواهره وهربت بها مع عشيقها المسيحى لورنزو وهو واحد من أصدقاء أنطونيو .

ومن عجب أن يعيش لورنزو وجسيكا بنت شيلوك في بيت بورسيا الضخم خلال اشتغال هذه بالدفاع - متنكرة - عن أنطونيو أمام محكمة البندقية وعلى مشهد من الدوق .

وبعد انتهاء المحاكمة إلى المصير الذى صارت لآلهة بخيبة شيلوك اليهودى وخسرانه وفقدانه ثروته ، وصيرورته مديناً ذليلاً محروماً بعد أن كان دائماً طاغياً متجبراً - بعد هذا تنتهى الرواية بوصول أوثق الأخبار عن نجاة سفن أنطونيو مما كان قد أشيع عن هلاكها ، وتحم المسرحية ختاماً

سعيداً يجتمع فيه الأزواج باسانيو وبورسيا ، ولورنزو وجسيكا ، كما يلتقي معهم صديقهم الوفي أنطونيو الذى عادت إليه سفنه وأمواله سليمة صحيحة ، كما عادت إلى جسيكا — ابنة شيلوك وزوجة لورنزو — أموال أبيها شيلوك الذى تمثلت في جشعه وحققه وفساد طبعه وقساوة قلبه حفنة من أخلاق قومه . . .

منابع هذه الرواية

قصة تاجر البندقية منسوجة من خيوط متنوعة قديمة قدم الطبيعة البشرية ، حتى ليؤكد مؤرخو الأدب الإنجليزي أن هيكل الرواية كله ليس لشكسبير فيه إلا فضل الحكمة الفنية . فإن حكاية الاقتراع على الصناديق ، وحكاية اقتطاع رطل من اللحم البشرى مما يرتد إلى أصول تاريخية قديمة من المحتمل أن تكون شرقية . على أن حكاية الصناديق — كما جاءت في مسرحية تاجر البندقية — موجودة في مجموعة لاتينية من القصص تسمى : « Gesta Romanorum » جمعت في سنة ١٣٠٠ . وقد ترجمت إلى الإنجليزية وطبعت بوساطة « Wynkiv de Worde » ، وكانت شائعة بين الإنجليز في عصر أليصابات إلى حد أنها طبعت ست مرات بين سنتي ١٥٧٧ و١٦٠١ ، أى في شباب الشاعر شكسبير .

أما حكاية اقتطاع رطل من لحم الإنسان فهي موجودة في الأساطير الآرية وفي الأدب الشرقى جملة والمصرى القديم خاصة . وقد ظهرت في

الأدب الإنجليزي في قصيدة «Cursor Mundi» سنة ١٣٢٠ ، وهي قصة دينية شُرط فيها اقتطاع بضعة من اللحم من غير أن تراق قطرة من الدم . ولعل مرد هذا الجزء القاسى إلى القانون الرومانى العنيف الذى يعطى الدائن حق اقتطاع فلذة من لحم المدين . . . ولقد ظهرت قبل شكسبير قصص لا بأس بعددها تروى فيها حكاية الرطل من اللحم البشرى كالقصة التى كتبها بالفرنسية « . ألكسندر سلفاين » وترجمها إلى الإنجليزية « L'P'London » سنة ١٥٩٦ . ولعل أقرب هذه الحكايات شبيهاً بحكاية شكسبير فى مسرحيته تاجر البندقية هى حكاية «Pecorone» التى أوردتها « Giovanni Fiorention » فى مجموعته القصصية سنة ١٣٧٨- أى بعد وفاة الكاتب الإيطالى الشهير « بوكاسيو » بثلاث سنوات .

أما حكاية هرب جسيكا بنت شيلوك بعد أن سرقت بضعة من مال أبيها وجواهره فيمكن أن ترتد إلى أصل إيطالى فى القرن الرابع عشر ، وذلك فى رواية نوفلينيولسارنو ، فهى تحدثنا عن ابنة ثرى بخيل من أهل نابلى ، سرقت جواهر أبيها واتخذت سبيلها فى الأرض هرباً مع عاشقها . . . على أنها بعد ذلك حكاية شائعة فى ممالك الأرض جميعاً .

على أن الفكرة الرئيسية فى رواية « تاجر البندقية » يقال إنها مأخوذة من « ملهاة البندقية » التى يزعم « Fleay » أنها الأثر الأدبى الضائع للكاتب Dekker والتى كان اسمها « يهودى البندقية » . ومهما

يكن من أمر مصادر الحكايات التي اشتملت عليها مسرحية شكسبير فإن شاعر الإنسانية الذي لا يداني قد خلع عليها من عبقريته ومن روحه ومن سحر لغته ما جعلها رائعة عالمية فوق مناط الحكايات والأقاصيص •

البناء المسرحي ووحدة الزمان والمكان

إذا كنا نسلم بالعناصر الرئيسية التي وضعها أهل الخبرة للمسرح بعد طویل من التجارب ، والتي بنوها على المفتتح ، وابتداء العقدة ، ونقطة التحول ، وانحدار نحو الختام ، والخاتمة ، فإنه من المسلم به أن خاتمة المأساة تنتهي بصراع البطل ضد قوات معادية ، وينتهي الصراع بهزيمة البطل ، على حين ينتهي في الملهاة بانتصاره . وعلى ضوء هذه المبادئ نقول : إن « مسرحية تاجر البندقية » هي ملهاة ينتصر فيها أنطونيو على كل الصعوبات التي اعترضت سبيله . فعلى حين تتأزم الأمور أمام أنطونيو ويعجز عن الوفاء بدين شيلوك في موعده ، وتأتيه أخبار الخسارة لعروضه وأمواله وسفنه في الساعة التي يفرح فيها باسانيو بزواجه من بورسيا - دلي حين يحدث ذلك إذا بالحكمة تبدأ ، وإذا بالفتاة الثرية العاقلة بورسيا تحول القانون في براعة وحذق إلى صدر شيلوك ، فتختلط المأساة الفرعية العارضة بالملهاة الأصلية ، وينتهي ذلك كله بالنهاية السعيدة على نغمات الموسيقى ، وفي سفور القمر المطل المضيء على قصر بورسيا بمدينة بلعونت . ولقد نحى شكسبير وحدة الزمان والمكان جانباً في هذه المسرحية ،

وجرى على وحدة أكمل وأتم - هي وحدة الحياة . وبذلك سار على طريقة ابتدائية خالف بها المذهب الاتباعي القديم « الكلاسيكي » . وتستغرق هذه المسرحية في مقياس الزمان ربع عام تدور فيه الأحداث مدارها ، ولكنها تبدو لنا حين نسمعها أو نقرأها أنها تدور في ساعات قصار على حين تنتقل المشاهد من مدينة البندقية إلى مدينة بامونت طرداً وعكساً . وهنا يحق لنا أن نقول مع القائلين : إن الوقت عند شكسبير مستقل كل الاستقلال ، أو غنى كل الغنى عن الساعات والتقاويم . . .

أشخاص المسرحية

ليس مبالغة في القول أن نقول إن مسرحية « تاجر البندقية » غنية غنى وافراً في شخصياتها . وهو غنى ليس في الكم وحده ، ولكنه يضيف إلى الكيف ما يجعل هذه الرائعة واحدة من أجمل روائع شكسبير . ولقد قسم الشاعر الإنساني أشخاص روايته إلى مجموعات متشابهة أو غير متشابهة ولكنها محكمة الاختيار إلى حد يجعل كل واحدة منها قائمة واضحة المعالم ، ثابتة في المكان الذي اختاره لها المؤلف ، بحيث لا يختلف وضع مع وضع ، ولا يتنافر شيء مع شيء . . . فهناك مجموعة يترسط عقدها تاجر البندقية - أنطونيو - وهناك مجموعة يتوسطها شيلارك ، ومجموعة تترسطها الثروة العاقلة الحصيفة بورسيا . على أنه ليس من الإنصاف ونحن في معرض تحليل شخصيات المسرحية أن نغفل الإشارة إلى جسيكا بنت شيلارك وهي

التي شغفها الفتى المسيحى لورنزو حباً ، فهربت معه بما حملته من أموال أبيها البخيل وجواهره . وهما شخصان ذوا دورين عارضين فى الرواية ، إلا أنهما يكبران شيئاً فشيئاً فى خلال المسرحية حتى يبدوا من أهم عناصرها . ولنبدأ بشخصية :

أنطونيو « Antonio »

هو شخصية هامة جدابة فى المسرحية ، وفى طيبة طبعه وسلامة نفسه ما يجعل منه بطلاً طيباً إذا ووزن بمقابله شيلوك . ويبدو على ملامح وجهه الطيب ما يبين عن أنه مشغل النفس بهوم ثقيل ، فهو حزين فى أول مشهد من المسرحية حزناً لم يستطع أن يكشف عن أسبابه لصديقه سالارينو وسالانيو ، فقد ظنا أن به لوعة من وجد أو خوفاً من توقع خسارة فى تجارته . إلا أن سمات الكتابة البادية غالباً على وجهه لم تستطع أن تغير شيئاً من كرم نفسه ورفيع صفاته . فهو جواد بأعز ما يملك ، لا يضمن بملخوور التلاد على أصدقائه ، وهو صبور فى المحن ، عاف عن الزلات ، حرّ حين يحب ، وصريح حين يكره ، وهو يحب المال لا لذات المال ، ولكن ليعين به صديقاً أو يسعف به مكروباً . ألم تدفعه المروعة إلى أن يضمن صديقه باسانيو عند اليهودى شيلوك الذى أقرضه المال على شرط أن يأخذ رطل لحم من جسمه إذا فات موعد وفاء الدين ولم يستطع المدين وفاء ؟ وقد ظل أنطونيو طول المسرحية طيباً من جميع نواحيه ، إلا أنه كان شديد الوطأة

فى حملاته اللسانية على شيلوك اليهودى حين كان يبعته بأشنع الأوصاف وأقذر النعوت ، وحين أعلن أمام دوق البندقية أنه تمها صابراً لما ترميه به نفس شيلوك الخبيثة من الرزايا . ولقد استسلم أنطونيو للمصير الذى يريده به اليهودى من قطع رطل من اللحم من جسمه ، وتمنى - فى غير سخط ولا جزع - لو حضر صديقه باسانيو ليرى بعينه كيف جاد بحياته فى سبيل الوفاء بدينه . وهنا يتغير موقف الخصامة والمحاكمة بين شيلوك وأنطونيو حينما تتولى بورسيا الدفاع عن أنطونيو ، فتجعل من حرفة القانون سلاحاً ضد شيلوك بدلاً من أن يكون سلاحاً فى يديه . وتنجلي هذه الغمرات كلها ضد أنطونيو عن انتصاره وانتصار صديقه باسانيو ، كما تنجلي عن سلامة سفته التى أشيع أنها كانت قد صارت إلى هلاك فى عرض البحار . .

باسانيو « Bassanio »

هو صديق أنطونيو الذى اقترض له المال بضمانته من شيلوك وكان باسانيو بحاجة إلى المال ليتقدم به إلى خطبة الفتاة الوارثة الجميلة بورسيا . فكل محنة لقيها أنطونيو كانت من أجل باسانيو . وكان كل شيء فى المسرحية ينبئ بأن باسانيو هو المقدور أن يكون زوجاً لبورسيا الجميلة على الرغم من ازدحام الخطاب من الأمراء على بابها . فجاء اقتراع الصناديق من نصيبه مؤيداً لاختيار بورسيا لو كان لها وحدها الخيار . فهو فتى سرى النفس نظيف السلوك . وهو فوق ذلك رقيق الحس . ما كاد يعلم - وهو

فى مباهج العرس بزواجه من بورسيا — بأزمة أنطونيو ولالحاح اليهودى عليه بتنفيذ الشرط فى اقتطاع رطل اللحم من جسمه ، حتى ترك زوجه الجميلة فى ليلة عرسها ونحف إلى مكان المحاكمة لعله يفتديه أو يسعفه بالمال الكثير الذى أمدته به بورسيا لو أمعن اليهودى شيلوك وغالى فى المطالبة بمال بدلا من رطل اللحم . . .

بورسيا « Portia »

هى الفتاة الوارثة الثرية ، التى أراد لها أبوها قبل أن يموت أن تتزوج عن طريق الاقتراح على صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والثانى فضى ، والثالث رصاصى . فلم يكن اختيار بعلمها لها ، وإنما لما تحكم به القرعة بين الخطاب الكثير الذين تقدموا لخطبتها . وقد كانت ترى مما يشق عليها أن تكون فتاة عاقلة مثلها غير قادرة على قبول من تحب ، أو رفض من لا تحب . وكأنما الأقدار السعيدة كانت تهيئ لها السعادة حينما وقع اختيار الشاب باسانيو على الصندوق الرصاصى الرابع . ولكن باسانيو فقير لا يقوى على منافسة الخطاب الأثرياء ، فلجأ إلى صديقه أنطونيو — تاجر البندقية — ليقرضه المال . ولكن أنطونيو — فى غمرة من الضيق المالى — لجأ إلى اليهودى شيلوك الجشع الحقود . وما كادت بورسيا تعلم بمحنة أنطونيو حين عجز عن وفاء الدين فى أجله ، حتى همت لتنقذ أنطونيو من تصميم اليهودى شيلوك على تنفيذ الشرط القاضى باقتطاع رطل لحم من جسده . إن أنطونيو

قد أسلف لها يداً غير مباشرة حين ضمن القرض الذى أخذه باسانيو ليتقدم إلى خطبتها ، فكيف تقصر الآن عن معونته فى النكبة التى منى بها أمام شيلوك ؟ لقد تنكرت فى زى محام شاب لتدافع عن أنطونيو وتنقل حياته من يد اليهودى العنيد الحقود . ولقد كان موقعها فى المدافعة أمام دوق البندقية موقعاً اختلط فيه الشعر بالفلسفة . وامتزج فيه الوقار الرصين بالسخرية اللاذعة . وما أروعها وهى تلجأ إلى لغة الشعر لتتحدث عن الرحمة حديثاً تحاول أن تلين به قلب اليهودى الذى قدّ من صخر ! وما أذكاه وهى تحاول القانون ضد شيلوك ! فلماذا اشترطت عليه أن يقطع اللحم من جسم أنطونيو بلا قطرة من دم ، وإلا قضى عليه قانون البندقية بمصادرة أمواله وأملاكه ، وهنا اضطر شيلوك - مكرهاً - إلى أن يرضى بأن يرد إليه أصل قرضه من غير تنفيذ لشرط اللحم ! ولكنه فى النهاية خسر قرضه ، وخسر ماله كله الذى ذهب إلى ابنته جسيكا وزوجها لورنزو واقعد باغ من حكمة بورسيا أن الكاتبة المسز جايمسون قالت : « إن شكسبير هو الفنان الوحيد - بجانب الطبيعة - الذى يستطيع أن يحيل النساء عاقلات حكيما من غير حاجة إلى أن يجعل منهن رجالا » .

شيلوك Shylock

إذا كانت بورسيا هى جمال هذه المسرحية فإن شيلوك اليهودى الجشع هو سر القوة الكامنة فيها . وقد حاول شكسبير أن يجمع كل خصائص

اليهود وصفاتهم العامة في شخصية شيلرك ، الذى يمثل الشعب اليهودى أصدق تمثيل . ففيه منهم تلك الكبرياء العاتية التى لم تقف لحظة خلال العصور عن أن تثير العداوات ، وفيه ذلك الشح المفرط الذى يقود إلى الجشع البغيض ، وفيه منهم ذلك الضعف والدلة . فهو فى الحق نموذج من آلام اليهود وكراهيتهم . وقد كان هو نفسه موضعاً للازدراء الشديد والإهانات المتصلة من المحيطين به من مسيحيى البندقية .

وكان له بينهم أعداء يرى نفسه أكبر من مصالحتهم ، وإن كان أضعف من مقاومتهم . على أنه فرق ذلك لم يكن فى يهوديته بأكثر منه فى شيلوكيته . . . فله من السمات الخاصة ما يزيد على سمات قومه . .

ولقد صوروه شكسبير حتموداً منتقماً أكثر منه طماعاً جشعاً ، فإن الحقد كان يجرى فى مفاصله مجرى الدم . . فقد أنساه حقه حب المال وهو يخاصم أنطونيو أمام دوق البندقية ، حتى لقد رفض أن يدنع له دينه أضعافاً مضاعفة لقاء أن يشفى حقه باقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو . وكل ذنب أنطونيو لديه أنه رجل تجمعته فيه أكرم خلال المسيحية — أو الإنسانية — فهو مسباح كريم منجد مغيث للملحوف لا يقرض بالربا مطلقاً ولا يتعامل به . حتى لقد قال عنه الناقد الأديب «H.N. Hudson»: « لما كان الجشع والحرص هما هوى نفسه الذى تحكم فيه فإن الفضائل المسيحية التى لا تتفق مع ذلك بدت فى عينيه من أكبر الذنوب » .

ولقد بلغت شهوة المال والحرص عند شيلوك حدّاً جعلت منه شخصاً

بليد الحس ، وضع النفس . فلم يحزنه شيء حينما فرت ابنته جسيكا مع عاشقها المسيحي لورنزو أكثر من حزنه على المال الذى هربت به
 كأن الشرف عنده شيء لا اعتبار له بجانب المال . ويقول حينما علم نبأ هروبها بالمال والمصوغ : « من لى بابنتى ميتة عند قدمى ، والماستان فى أذنيها ١٩ » .

وبلغ من بلادة حسه أنه ألف أن يسمع أفحش الطعن فيه فلا يتحرك ولا يشور ، ولا يبدى آية من آيات الغضب . وكثيراً ما ندده أنطونيو وباسانيو وأصدقاؤهما فلم يبدُ عليه أنه سمع من واحد منهم كلمة ويتمتع شيلوك — لو صح هذا التعبير — بنصيب كبير من المكر والخبث الذى بدا جلياً فى المحاورة بينه وبين أنطونيو وباسانيو ، حينما جاءه لطلب القرض منه . كما بدا جلياً فى المحاورة بينه وبين سالانيو وسالارينو حينما فات أجل الدين وحق تنفيذ الشرط القاضى على أنطونيو باقتطاع رطل من لحم جسده وإذا جاز لنا هنا أن نعود مرة أخرى إلى حقد شيلوك فإنه كان حاقداً على المسيحية بحكم يهوديته ؛ وكان حاقداً على أنطونيو لأنه كان يسخر منه من ناحية ، ولأنه كان تاجراً شريفاً نجداً غير مراب ولا حريص على مال ؛ وكان حاقداً على لورنزو المسيحي صديق باسانيو لأنه أغرى ابنته جسيكا بمغريات الحب فهربت معه من بيت أبيها شيلوك حاملة معها ما حملت من ذهبه ومصوغاته .

ولقد ضاع ذلك اليهودى التاعس فى نهاية الخصومة بينه وبين أنطونيو

ضياءاً مادياً لا قيامة له بعده... بفضل براعة بورسيا في الدفاع . فضاعت أمواله كلها التي أنفق الساعات في جمعها لتذهب إلى لورنزو المسيحي الذي تزوج بابنته جسبكا . وعاد من صفقة القرض التي كان يحسبها رابحة بأفدح خسران . . .

ولقد بلغ من خطر الدور الذي قام به شيلوك أن المسرحية كادت تسمى باسمه بدلا من اسم أنطونيو تاجر البندقية . فقد وجد في أحد السجلات القديمة « Stationers Registers » تعريف بهذه المسرحية هكذا : « هذا كتاب تاجر البندقية ، أو كما يسمى باسم آخر : يهودى البندقية » . ولقد يدلنا هذا النص الوثيق على أن شكسبير كان في شك من أن يسمى مسرحيته بإحدى التسميتين نسبة إلى أنطونيو أو شيلوك . وأياً ما كان الأمر فإن شيلوك هو « شخصية » هذه المسرحية ، وما عداه من الشخصيات فتبع له . ولكن أنطونيو من ناحية الدراما هو شخصية هذه الرواية ، فلولا ما كان لشيلوك ظهور . . .

جسيكا « Jessica »

ابنة شيلوك اليهودى ، ولكنها لا تبدو في أى موقف من مواقفها في المسرحية على صورة تنفر القارئ أو المشاهد . فقد اجتمع لها من اللطف والوداعة والجمال ما ينسبنا كثيراً من سيئات أبيها ، حتى لقد يظن الظان أنها ليست من طبيئته ، ولا من ديانتها . فهي كما يقول سالارينو مخاطباً

شيلوك بعد حادثه هربها : « بين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف
النيلد الأحمر عن النيلد الأبيض ! » .

على أن فرار جسيكا في ذاته مع عشيقها المسيحي لورنزو قد
يحملنا على فرض احتمالين لا ثالث لهما : فلما أن تكون الفتاة غريبة ،
وإما أن يكون أبوها غير طيب . وخاصة بعد أن سرقت معها جمهرة من
مال أبيها ، ولكننا حين نلتمس لها العذر في القرار من بيت ضرب الشح
والحرص والتقتير عليه بجرانه ، فلننا لانعفيها من بعض الاوم على سلوكها هذا .
ومن عجب أن هذه الفتاة المحرومة قد آلت لإيها أموال أبيها شيلوك بعد أن
خسر قضيته مع أنطونيو . وصار مصيداً بعد أن كان طالب صيد . .

لورنزو « Lorenzo »

هو غاشق جسيكا ابنة شيلوك اليهودي . وقد هرب بها في ليلة كان
أبوها فيها مدعواً إلى حفل تنكري . وساعده على الهرب بها وبالمال الذي
حملته جراتيانو وسالارينو ، وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو ، وكأنما
كان شيلوك يحسّ بما سيحدث تلك الليلة ، فقد خاطب ابنته موصياً إياها
بتغليق الأبواب وإحكامها وحذرهما أن تذهب إلى النافذة لتطل منها ... ومن
عجب أن تهرب جسيكا مع لورنزو إلى بيت بورسيا وزوجها باسانيو ،
وأن يتولى العاشقان الهاربان الإشراف على هذا القصر حتى تمود بورسيا منجزة
مهمة دفاعها النبيل عن أنطونيو وهي متنكرة في بزة فتي من أقدر المحامين .

بقيت بعد هذا شخصيات جراتيانو وسالارينو وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو. وقد بلغ بهما صدق المودة وخلوص الحب حداً يضمهما في إطار فريد نادر من الصداقة التي تجلى مثلها الرفيع في أنطونيو. أما طوبال اليهودي صديق شيلوك فهو شخصية ثانوية الأهمية ، ولكنه على كل حال كان يحمل إلى شيلوك أطراف الأخبار وأسوأها ... حل إليه نبأ خسارة سفينة من سفن أنطونيو ، كما حل إليه في اللحظة عينها نبأ عن ابنته الهاربة جسيكا أنها أنفقت ثمانين دوقية ذهبية في ليلة واحدة بمدينة جنوة ويا للمفارقة بين النبأين !

أما شخصية لنسلو جوبو « Lancelot Gobbo » فهي شخصية تعتمد على عنصر الضحك والغرابة . لقد كان في خدمة شيلوك اليهودي ، ولكنه وجد من سوء عشرته مالا يُطمع بالبقاء عنده ، فتركه إلى خدمة ياسانيو . والحق أن بيت شيلوك كان يشبه قطعة من الجحيم ... ولقد عبرت عن ذلك جسيكا ابنة شيلوك حين خاطبت لنسلو جوبو قائلة : « أنا متكدره لتركك أبى ، ستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمي » . ولقد انتقل لنسلو إلى بيت ياسانيو - أو إلى قصر بورسيا - حيث أوت إليه جسيكا مع عشيقها وزوجها لورنزو ، وحيث صارت إليها ثروة أبيها شيلوك وأمواله الواسعة

مقدمة للمعرب

أصل هذه القصة أحداثية ، وما أصغرها من أحداثية ، جرت على الألسنة في إيطاليا وتداولتها نقلا عنها سائر الأمم : محصلها أن فتاة ذات مال وافر وجمال باهر وعقل كالكوكب الزاهر ، كان قد مات عنها أبواها ، فخطبها إلى نفسها ملك مراكش وأمير أراغون في جملة النبهاء ممن خطبها . ولكنها مالت إلى شاب رقيق الحال من مسقط رأسها ومن بني جنسها ، استدان المال الذي أنفقه في الزنى إليها بضمن صديق له فقير مثله ، رهن لليهودى الذى أقرض ذلك المال رطلا من لحم صدره . فاستخارت الفتاة الله في مستقبلها ، وناطت أمرها بثلاثة صناديق : ذهبى وفضى ورصاصى ، جعلت في الأول منها جمجمة ميت ، وفي الثانى رأس امرأة أبله ، وفي الثالث رسمها ، فن اختار من الخطاب الصندوق الذى فيه رسمها أصبحت له حليمة . وقد جاء في هذه الحكاية ما يحىء عادة في كل حكاية من أمثالها : أن حبيب الفتاة هو الذى ألهم الصواب ، ففرحت به ، واحتالت لإنقاذ صديقه من تبعة ضمانه لليهودى ، بأن تزيت بزى عالم قانونى ، وقضت على المرابى .

طالع شكسبير هذه الأسطورة من أساطير السذج في تلك الأيام ، فاجالها إجمالة في ذهنه المبتدع حتى بدأ بها فصورها جملة في أحسن

ظروف الحياة زماناً ومكاناً على كل وجوهها ، وفيد أوبد الشكل من كل نواحي الفن وفي كل مراميه ، جامعاً في ذلك كافة بين المبكى والمضحك جمعاً خلاياً غريباً ، مازحاً ما يغضب وما يرضى أو ما يسوء وما يسرّ مزجاً رائعاً عجيباً .

اقرأ - رعاك الله - هذه القصة على النحو الذى نحاه شكسبير في جعلها حكاية عن الحقيقة تبين عجباً عجائباً . وأى عجب عجاب كلإخراجه من تلك الأنقاض المتداعية المتدابة غير التماسكة أنقاض الأسطورة العتيقة صرحاً أبداً مشيداً ليس في جملة ولا في تفصيله إلا أفانين صادقة من الحوادث الإنسانية بمقدماتها ونتائجها التى هى أبداً قديمة وأبداً جديدة .

الآن أصبحت تلك القصة ولا موضع فيها لسؤال السائل عن شيء يتم ما فيها من الدروس الاجتماعية المرتبطة بموضوعها وبكل ما يتحرك في دائرته . أصبحت ولا محل فيها لتمنى من يتمنى علة صحيحة لحديث مسوق ، أو لفظة مناسبة لمقام ذى بال ، أو عبارة أو إشارة كان يحسن أن توجد في مكان معلوم .

فلإذا فرغنا من النظر إلى جملة القصة فهلم نقاب الطرف في التفصيل المعنوي :

نخذ الأشخاص وتبين كنه كل منها ترآية شكسبير الكبرى : آية تعمقه إلى كنه الإنسانية في كل حي من أحيائها على اختلاف البيئات ،

ما تتصور حادثة إنسانية شعرية، معطياً إياها من الجدة والندورة ما صيرها من خرافة عامية تقصها العجائز على أحفادها وحفائدها إلى رواية تمثيلية من أسمى الروائع التي جادت بها قرائح المبدعين في هذا الفن .

ثم طفق يهيئ أجزائها ويرتب مشوقاتها ويصل بالأسباب الفكرية الدقيقة ما بين أوائلها وغاياتها ؛ وههنا يجد المطالع شخصاً يتمثل به كل قصد بحيث لو بحث في الإنس كلهم عن أجمع من هذا الشخص لمقومات البصقة التي أراد المؤلف أن يظهره متصفاً بها لما وجد أتم مما هو في تقدير شكسبير .

وما بالك بعد هذا بالكساء اللفظي الذي كانت أزواج تلك المعاني خليقة أن تكتسى به ! إن المعجم على ضخامته وسعته الطائلة لمتضائل ومتقارب الجوانب ومتحفز الأصداء للإجابة بين يدي شكسبير ، كالطبيعة بأسرها حين يصور ، أو كالنفس الإنسانية في أقصى حدودها جلالة أو دقة حين يتخيل ، أو كالقلوب المتأثرة الخفاقة حين ينصت إليها ويجمع من حسساتها مادة حكمه ليقرر .

ما ازددت قراءة منظومة من منظومات هذا الرجل ، قصيدة فذة كانت أم رواية ، سؤالاً في عرض محادثة بين شخصين أم جواباً ، كلمة جد ألقى بها في ملامة أم كلمة مزاح ، إلا ازددت له إعجاباً . وناهيك منه بشاعر سمت به العبقرية إلى أوج جلالها ، جعل القصة التمثيلية مجالاً غير محدود للوصف ، فبين بها أحوال النفس على اختلافها ، وقلب

وتعدد المناشئ والصفات ، وتنوع المعاش والمكروهات والمشتبهات .
تجد الطمع فتقول لا يصور بأدق من هذا ؛ نجد الجبن فتقول لو تمثل
رجلاً لكان هذا ؛ تلمح الحقد فتقول كأننى بفلان وفلان وفلان وقد
كشف كل عن جزء من الحقد الذى فى قلبه فاجتمع من الثلاثة الأجزاء
هذا النوع التام من الحقد يل النوع الأتم : وهكذا الحكم فى كل
ما تصدى شكسبير لإظهاره بمظهره البشرى .

إذا بلغ الوفاء من الصديق للصديق أسى مبالغه التى شهدناها ،
أو جاءنا بسيرها التاريخ من عهد أرسطاطاليس الذى يؤثر عنه تحييد أرقى
معنى فى معانى الوداد ، فهل يزيد شيئاً على ما جعله شكسبير فى نفس
« أنطونيو » من معجزة الوفاء وأجراه على لسانه من بديعها ؟

إليك ما يقوله حين يستعين به صاحبه على اقتراض المال الذى به
يقرب إلى مالكة له ، ويتوصل إلى مطمح نظره ومطمع قلبه :
« أنطونيو : ما كان أغناك - على علمك بى - عن إضاعة الوقت فى
الاحتياى للاستعانة بمودتى . إنك بارتيابك فى خلوصى لك لتسوفنى أكثر
مما لو أضعت على ثروتى بأسرها . قل ما ترجوه منى فيما تعرفنى قادراً
عليه فقد أجبته . تكلم » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو حين يشترط اليهودى إقراراً منه بأنه إذا لم
يف بالدين المطلوب فى يوم كذا بمكان كذا أوجب لليهودى عليه اقتطاع
رطل من لحمه فى المكان الذى يختاره من جسمه ، فقد كان أول جوابه

هذه الكلمات التي هي من أكبر ما قيل في التفدية للصديق بالنفس والنفيس : « أوافق بارتياح على هذا الشرط » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو مودعاً ، وقد وقف من الموت قيد خطوة ، وبقي له من العمر فسحة دقيقة أو ثانية لا يحسب لها ثانية ، ويموت عندئذ من أجل صديقه أبشع المיתات وأشدّها إيلاًماً للتصور ، فضلاً عن الجحمان الحى ، سامعاً ورائياً ، شحد المدينة على نعل اليهودى الذى يتأهب لقتله :

« أنطونيو : شىء غير كثير . أنا متأهب وصاهر . هات يدك يا باسانيو وتلق وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك ، فلمن المقادير رفقت بى رفقاً ليس من مألوفها فى مثل مصابى . فن مألوفها أن تبقى من فقد جاهه حياً غائر العينين مثقل الجبين بالعضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة . أما أنا فلمنها أنقلدتنى من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها كيف كانت نهاية أنطونيو وتصف مبلغ حبى لك ، وتبشها بك مما ألم بك حين شهدت ميتتى ؛ فلماذا فرغت من ذلك ، أن تسألها " ألم يكن لى صديق ؟ " ثم أن لا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق فإنه هو غير آسف على لإبرائك من دينك مع علمه أن مدينة اليهودى لو انحرفت أو تمددت قليلاً لذهبت بالقلب كله فداء لك » .

فلماذا انتقلنا إلى تمثيل الجمال أصلح ما يكون لتزدان به الزوج الصالحة وأبهج ما يكون رسماً حسياً للكمال ، فهل يتهاى لنا ملك فى شكل بورسيا

وهي تقول لعاشقها الذى وفق فصار زوجاً لها :

« بورسيا : أيها الهمام باسانيو ، هأنذا لديك كما أنا ، ولولا أمر جددته فى نفسى لاجتزأت بالنعم التى منحتها ولم أستزد . ولكننى غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أعظم جاهاً ، فتكبر حظونى فى عينيك ، ولو كان لى من الفضائل والحاسن والأموال والأصحاب أعداد لا تنفد . إلا أنى — ولا فخر — غير خالية من شىء يقدر بقدر ، فلمأمامك فتاة معصر نقية غرة تعتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم ، ومن سعد طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ، ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زمائها عن رضى بين يديك والإقرار عن خضوع بأنك سيدها وأميرها ومليكها . فأنا وكل مالى قد أصبحنا لك اليوم . كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة لخدمى وحشمى ، وكان بيدي قياد نفسى . أما الآن فالدار والتبع والمتبوعة فى تصريف بنائك يا ولى أمرى . »

كل أولئك عجب ، وإن عند شكسبير لأعجب : هذا شيلوخ اليهودى المطماع ، المرابى ، الحريص إلى التقدير ، الذى لا تسخو نفسه « بالدوق » ينفقه فى اقتناء الدواء لإذا مرض وأوشكت العلة أن تقضى عليه ، قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على التقيضين فى آن : يثور به الحرص فيبكي ، وأى بكاء ، على أطلاق سرقها ابنته وفرت به

مع شاب مسيحي ، ثم يشب به عامل الحقد الديني فيغلب فيه على ذلك العامل ويحركه إلى التحلى عن ثلاثة آلاف دوق ذهباً ، بل عن ستة آلاف ، بل عن اثني عشر ألفاً تعرض عليه فداء ، فيأبأها كأنها أقل من درهم ليتتقم من أنطونيو النصراني .

وهل في إظهار التنازع بين الإحساسين المتضادين في النفس الواحدة أبلغ من هذه العبرة التي جاءت بها شكسبير بين الجلد والحزل ؟ طالعوا في دقائق معدودة هذا الحوار بين شياوخ وبين صديقه وأخيه في الدين طوبال الذي ناط به شياوخ البحث عن ابنته الفارّة :

« شياوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟
طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضوعها .

شياوخ : يا للخسران ! اختلست مني الماسة بيعت على في فرنكفورت بألفي دوق . الآن قد طفقت اللعنة محلّ على أمتنا حلولاً لم أشعر به من قبل . ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات آخر غالية وأى غلاء . من لي بابنتي مينة عند قدمي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ، عجباً ! أما من نأ عنها — هكذا — ؟ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة . . .

طوبال : لست فداً في تعرضك للنوائب . إن أنطونيو قد فقد إحدى سفائنه

- شيلوخ : حمداً لله حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟
 طوبال : كلمت نواتية نجوا من الغرق .
 شيلوخ : وحمداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت الأخبار .
 طوبال : سمعت أن كريمك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة يجنوا .
 شيلوخ : تطعني بخنجر في قلبي ! لن يعود إلى ذهبي .
 طوبال : في رجوعي إلى البندقية حدثت أن أنطونيولا بد له من التفليس .
 شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا . سأعذبه . سأنكل به . . يا للسرور !
 طوبال : أراني أحدهم خاتماً نفحته كريمك به لتحلية قرد أعجبها .
 شيلوخ : ويحها من ناعسة ! تقتلني يا طوبال . تلك زبرجدي التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبي ، ولو أعطيت فرقة من القردة لما أعطيتها .

أما من جهة العبارة وفصاحتها والديباجة وروعها فليس في عزي بالبداهة أن أجيء باستشهادات في اللغة الإنجليزية لتبين براعة شكسبير في استخدام لغته على ألف نحو لا يجارى فيه للتعبير عما يحول في رأسه أو ينبض به قلبه . وإنما سأحاول أن أظهر تلك البراعة بأقرب ما تتسنى محاكاة النقل للأصل ، فيشعر متصفح الكلام وهو يقرؤه عريباً مبيناً أن شكسبير هو الذي يتكلم .

خذ مثلاً من أمثال تتجدد في كل صفحة وتتعدد في كل مقام :
كلام بروسيا وهي متنكرة في زى قاض نصف الرحمة لتستعطف الإسرائيل
شيلوخ . أقبل في الرحمة أفصح وأجل من كلامها ؟

« بروسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهي كماء السماء
ينهمل بالخير ويهطل باليمن ، عفواً من وهب ، وبركة لمن كسب ، فإذا
كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة فهناك بهاء قدرتها وازدهاء جلالها .
أما تراها إذا تحلى بها الملك القائم كانت لهامة أزين من التاج ، وفي يده
أقوى من صولجان الأمر والنهي ، وكان عرشها المنصوص في قلبه أعظم
تمكيناً له من عرشه الذي يستوى عليه ، لأنها من صفات الله عز وجل ،
ولا يكون السلطان الديوى أقرب شياً إلى السلطان العلوى منه إذ يلطف
العدل بالرحمة . فيا أيها اليهودي مهما يكن من استنادك في دعواك إلى
العدل فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على
أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما
نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العاقين عن الناس » .

ولذا كنت قد أثرت موضوعاً جليلاً للاستشهاد به هنا فلا يؤخذ من
ذلك أن كل لفظة جعلها شكسبير ، حتى في نطق أحقر أشخاصه وأقلهم
شأناً ، ليست هي اللفظة التي تتعين دون سواها لأداء غرضه مقوى بها كما
هي طريقته في الأداء التمثيلي مائة ضعف ، على اعتبار أنه إنما يخاطب بها
العالمين لا فئة من الناس دون الأخرى .

أشخاص الرواية

| | |
|-------------------------|--------------------------------|
| جوبو الهرم والد لنسلو | دوج البندقية |
| سالريو رسول من البندقية | الأمير المراكشي |
| ليوناردو خادم باسانيو | أمير أراغون |
| بلتزار } أجيران لبورسيا | أنطونيو تاجر البندقية |
| ستفانو } | باسانيو صديقه |
| بورسيا وارثة ثرية | سالانيو { |
| نريسا تابعة لها | سالارينو { |
| جسيكا بنت شيلوخ | جراتيانو { |
| أعيان من البندقية | لورنزو عاشق لجسيكا |
| ضباط دار الحكم | شيلوخ يهودى |
| سجان | طوبال يهودى صديق لشيلوخ |
| خدم . . . الخ | لنسلو جوبو ومضحك فى خدمة شيلوخ |

تجرى وقائع هذه الرواية تارة فى البندقية وتارة فى قصر بورسيا بمدينة

بلمنت .

عند هذا الحد أقف في وصف هذه الرواية والتنبيه على شيء من مزاياها . وسيرى المطالع بنفسه من حسناتها في كل فقرة وفي كل رمز ما تأخذه الدهشة لديه وينالط عجبه منه الإعجاب به .

إن الغرر في روايات شكسبير ثمان على ما أعتقد ، وهذه إحداهن . عربتهن جميعاً ، وسأولى تمثيلهن بالطبع ، إذ هن لكل لغة حاجة وزينة ، فإياك باللغة العربية وهي مجتمع أبحر البيان وملقى كل حسن أدبي وإحسان .

خليل مطران

الفصل الأول

المشهد الأول

منهج في البندقية

« يدخل أنطونيو وسالارينو وسالانيو »

أنطونيو : حقاً لا أعرف لماذا أنا حزين حزناً يُتعبني ، ويشق عليكما فيما أرى . إنني لأسائل ضميري من أين جلبت أنا هذه الكتابة ، أو كيف وفدت هي عليّ ، أو في أي مكان صادفتني ، أو من أي غزل نُسجت ، أو تحت أية سماء وُلدت ، فما أكاد أحير جواباً ، بل أشعر أن بي بلاهة ، وأوشك أن أتكر على نفسي

سالارينو : لا غرو أن يكون عقلك ضارباً في العباب متعقباً بين النواهض والعواثر من الأمواج ، آثارَ مراكبك الضخام التي تتخطر بسواربها البواسق فوق الخمر تنخطر الغطاريق الذين لهم السيادة على البحر ، أو تحلق من عل فوق جماهير الصغار المتضائلات من سوقة السفن وعامة المنشآت فيحييها بإجلال

حين مرورها بهن سابحة ، وكأنها طائرة بأجنحتها الكتانية .
 سالانيو : أيقن يا سيدى أننى لو خاطرت بمالى مثل بخاطرتك لدرجت
 أهوائى تتعقبُ آمالى فى تلك الآفاق البعيدة ، أو لما وَجدتِ
 من نشدتنى إلا عاكفاً على فُرِيعات الأعشاب أستخبرها عن
 مهاب الرياح ، أو مكباً على صُور الأرض أبحثُ عن المرائى
 والأرصفة والموائى ، فأىما شىء تبينت منه أدنى بأس على
 أو ساقى ميت له جزعاً

سالارينو : بل لكان من شأنى فى مثل هذه المجازفة أننى إذا نفخت فى
 حسائى لتبريده ، طفقت أفطن للآفات التى قد تحدثها
 العواصف فى البحر فأرتعد ، وإذا نظرت إلى تناقص المزولة
 خطرتُ على بالى الجروف والأغوار الرملية وبدت لوهى تلك
 الجارية الكبرى المسماة « بسنت أندرى » جانحة وقد انقلبت
 ساريتها الوسطى إلى ما تحت غاطسها كأنها تقبل رَمْسها .
 وإذا يعمت الكنيسة فلاحت لى مبانيها الحجرية الممردة
 ذكرت من فورى تلك الصمخور الصماء التى إن مست جانباً
 من جوانب فلكى ارتطم بها ، وألقى بما يحمله على وجه المحيط
 فانبثت البقولُ فوق الحباب وانتشر الخريزُ على مناكب
 الأمواج الهدارة ، وانتقلت أنا فى عقبها من مُلابسة الثراء
 إلى مُلابسة الثرى . أفى وسع لإنسان أن يرى منى تلك الحالة

٣٥

فلا يفهم. أن ما يشغل بالي إنما هو هذا الشاغل ؟ قولوا
ما تشاؤون ، أما أنا فلا أحمل هم أنطونيو إلا على محمل
تفكيره في مشحوناته

أنطونيو : لا وصدّقاني. ليست لحسن طالعي كل بضائعي في موسق
واحد ولا هي موجهة إلى مكان واحد فتكون عرضة للأخطار
بل أزيد كما أنني لم أقامر بكل ثروتي في مضاربات هذه
السنة ، فكأبتي ليست من جانب مشحوناتي

سالانيو : إذن أنت عاشق

أنطونيو : لا ولا

سالانيو : فإن لم تكن عاشقاً لم يبق لنا أن نقول إلا أنك ترج لأنك
غير فرج ، كما أنك بالقياس على هذا لو كنت مبتهجاً
لحازلك أن تضحك ، وترقص ، وتبهر بأفك مسرور ،
لأنك لست بمحزون . حلفت ببيانوس ذي الوجهين إن
الطبيعة تخلق في بعض ما تخلق أناساً مستغربين ، فئة
منهم لا تنى عيونهم متيقظة على كرمهم كاللبغاوات ،
يضحكون لأول نافخ في مزمار يسمعهم لحناً ما ، وفئة
آخرون لا يفتنون مقطعين جباههم . إذا طرقت آذانهم نكتة
من المستظرفات التي تضحك الحليم - ولو أنه نستور
الحكيم - لم تنفتق لها شفاههم المضمومة عن أدنى ابتسام

« يدخل باسانيو ولورنزو وغراتيانو »

سالارينو : هذا باسانيو قريبك الشريف قادماً يصحب
ولورنزو. نستودعك الله وندعك لرُفقةٍ أحسنَ
سالارينو : لولم يجيئ من هو خير مني ، لأقمت حتى أز
أنطونيو : ما أشد اعتدادي بمودتك ، لكن شؤونك تدعوك
الفرصة للانصراف إليها

سالارينو : نعمتم صباحاً يا سادة
باسانيو : إيه يا سادة متى نستأنف مباسطتنا ؟ قوا
لقد أطلتم هجونا فإلام هذا الجفاء ؟
سالارينو : متى أذنت أشغالكم باللقاء ، فنحن ممثلو أمركم
« ينصرف سالارينو وسالانيو »

لورنزو : أما وقد التقيت بأنطونيو ياسنيور باسانيو فنحن ن
إلى أن يحين العشاء فعسى ألا تنسى المكان الذي
فيه

باسانيو : ثقا أنني آت

غراتيانو : ليس في وجهك ما يدل على الصحة يا سنيو
لشد ما تشغلك أمور الدنيا ، وخسر من اشته
بثقال الهموم . إنك لعل غير ما أعهد فيك من الـ

أنطونيوس : غراتيانو ، إنما أنظر إلى الدنيا كما يجب أن ينظر إليها باعتبار أنها ملعب لكل فيه دور ، أما دورى فكتبت عليه الكآبة

غراتيانو : وأما الذى أوثره لنفسى فدور الضحكة . لئن علنى غصون الشيوخوخة فلا علنى إلا بين السرور واللهو .

وخير لى أن تُرْمَصَ الحمرة كبدى من أن تبدد الأشجان أنفاسى تصويباً وتصعيداً . علام يرضى الإنسان — إذ الدم ما يزال حاراً فى عروقه — أن يتشبه بالمرمر المصنوع منه تمثال جده ، فلا ينام إلا مستيقظاً ، ولا يستفيد من تدفق الكآبة الصفراء على قلبه سوى داء اليرقان . أصغ إلى أنطونيوس . أنا أحبك ، وعن حبي مصدر الكلام الذى أسوقه إليك .

من الناس من وجهه كوجه الماء الراكد به انتفاخٌ ويغشاه ما يغشى المستنقعات من مر المراعات ، يصمت عن تدبير ليذيع عنه أنه لبيب متبصر متبحر فى الأمور ، فإذا فتح فاه فكأنه قائل : « أنا صوت الوحي ، حذار أن تنبح الكلاب » . . . أى صفيى أنطونيوس ، أعرف غير واحد لم يشتهروا بالعقل إلا لعدم نطقهم بشيء ، مع أنهم لو نبسوا لآذوا أسماع مجالسهم ولعملوا معاملة المجانين . سنعود إلى هذا البحث فيما بعد . انتصح بنصحى ، ولا تحاول أن تتصيد الشهوة بحباله حزنك فهى صيد الحمقى — تعال

أيها العزيز لورنزو — « لأنطونيو » وداعاً إلى هنية ، سأتى
عظى بعد العشاء .

لورنزو : أجل سندعكم إلى ميقات العشاء ، ولما كان غراتيانو
لا يفسح لى فى الكلام ألبتة فقد رضيت أن أكون واحداً من
أولئك الحكماء الصامتين

غراتيانو : لا جرم أنك لو استمررت على معاشرى ستين آتيتين لتعذر
عليك بعدهما أن تعرف صوتك

أنطونيو : فى رعاية الله . إذا ظلت الحال هكذا ، لم تلبث أن تحولنى
إلى ثرثرة

غراتيانو : أولى لك ثم أولى ، فإن الصمت لا يحمد إلا فى اللسان المدخن
وفى فم العذراء التى لا تبيع عرضها

« يخرج غراتيانو ولورنزو »

أنطونيو : أوجد شىء من المعنى تحت هذا كله ؟

باسانيو : أذلق أهل البندقية لساناً ، يمثل هذه التوافه — غراتيانو —
والأسباب التى يبنى عليها أقاويله ، أشبه بحبى قمح فى
مكيالين مغممين بالتبن ، فتش سراة النهار حتى تجدهما ،
فيذا وجدتهما فما أقلهما من شىء فى جانب هذا العناء !

أنطونيو : حسن . حدثنى الآن عن تلك المرأة التى عزمت على

حجّ بيتها في الخفاء

باسانيو : لا تجهل يا أنطونيو ما كان من تبدلي ثروتي بالتوسع في الإنفاق منها على قلة مواردها ، وما جرّني إليه ذلك من الديون الباهظة ، فهمي الآن — ولا يداخله شيء من خوف السقوط عن ذلك المقام الرفيع — هو أن أوفى تلك الديون كما يقتضي شرفي ، ومعظمها لك سمحت به عن وداد . فإلى ودادك اليوم ألبأ لتعينني على تحقيق آمالي ، وتمدني بما يوصلني إلى أداء ما عليّ

أنطونيو : عرفني آمالك يا صديقي باسانيو ، فإذا كانت شريفة كما أعهدك شريفاً ، فأنت واثق أن مالي وشخصي وكلّ ما في وسعي رهنٌ خدمتك

باسانيو : عندما كنت طالبَ علم اتفق لي غير مرة أن أرمي نبلاً فأفقد أثرها ، فإذا أردت الاهتمام إليها رمت أخرى في ناحيتها ، ورقبتها في منطلقها ، ثم مضيت في ذلك المتجه فلم أرجع إلا وقد ظفرت بالنبلين جميعاً . ذلك لمخاطرتي بالثانية بعد الأولى . وقد قصص عليك هذه السانحة الصبوية ، لأن ما سأذكره لك لا يقل عنها تفاهة . أنا مدين لك بكثير ، ويوشك ما أقرضتني أن يكون مفقوداً ، لأن نزق الصبي حالّ دون تبصرتي في عقبي هذا التفريط ، غير

أنك إذا أسعدتني على إرسال سهم ثان في مرمى السهم
الأول رقبته بتفطش، وفزت يقيناً بوجدان السهمين كليهما ،
أو عدت على الأقل بالآخر منهما . وبقيت لك عن الذي
سلف ممتناً شكوراً

أنطونيو : ما كان أغناك - على علمك بي - عن إضاعة الوقت
في الاحتياال للاستعانة بمودتي . إنك بارتياك في خلوصي
لك لتسوفني أكثر مما لو أضعت على ثروتي بأسرها . قل
ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم .

باسانيو : في قصر بلمنت غانية غنية ، واردة لجاه كبير ، جمالها
فوق ما تصف الكلم ، وخصالها لانظائرها . راسلتني عيونها
في بعض الأوقات ، ساكتة والهوى يتكلم . يسمونها برسيا
ولا تقل شيئاً عن سميتها برسيا بنت كاتون قرينة بروتس ،
على أنها ليست بمغمورة الذكر ، ولا بمخوسة المهر ، فلإن
نهباء الخطاب يتوافدون إليها من كل فج وشاطئ . تتساقط
ضفائرها على صدغيها كأنها جدلت من ذهب . وما
من خاطب مجد ، وطالب سعد ، إلا وقد طرق بابها ،
والتمس جوابها . فيا صديقي أنطونيو لو تيسر لي أن أتقدم
بين المتقدمين في هذه المناظرة ، فلإن وحيًا نجيًا يسر إلى قلبي
أنني سأدرك قصص سبق

٤١

أنطونيو : تعلم أن ثروتي جميعها تحت رحمة المحيط ، وأنه لا يتسنى لي أن أجمع الآن من مالى مقداراً جديراً بالذكر ، فاذهب إلى البندقية واسبر ما تقدر على استدانته بضماي ، فأياً كان الشيء يبلغك مرامك لم يعزّ عليّ بذله . ابحث في كل مظنة للنقود، وسأبحث أنا كذلك ، ولعل ما للناس بي من الثقة أو مالى عندهم من الكرامة يقضيان أربك .

« يخرجان »

المشهد الثاني

بلمنت - قسم من قصر برسيا

« تدخل برسيا ونريسا »

برسيا : حقاً يا نريسا إن جسمي الصغير لتعب من هذا العالم الكبير
نريسا : ما كان أحراك بهذا التعب لو أن ما عندك من اليسر أبدل
بعسر ، غير أنني قد تبينت أن الإنسان يُشقيه فرطُ الغنى ،

نرسيما : كان أبوك امرأ خير ، والأبرار يلهمون الخير قبل وفاتهم ،
فاعتقدى أن الاقتراع الذى ناطه بهذه الصناديق الثلاثة :
الذهبي ، والفضي ، والرصاصي ، وجعلك حليلة لمن يحىء
اختياره وفق مراده لن يحيثك منه إلا بعلٌ جدير بحبك .
على أن الخطّاب الذين تقدموا إلى الآن كثير ، أفما تقولين لى
أيهم أكبر حظوة في عينيك

برسيما : أعيدى علىّ إن شئت أسماءهم أصفهم ، ومن الوصف
تعلمى منازلهم من رأي

نرسيما : أولهم الأمير النابلي
برسيما : هذا حيوان لاشك فيه . يتكلم بلا انقطاع عن جواده ،
ويتباهى بأنه ينعلُ الدابة بيده ، ويتقن . حتى لأخشى أن
تكون أمه قد عثرت عثرةً بين يدي أحد البياطرة

نرسيما : يليه الكنت البالاتي

برسيما : هذا رجل سحته متشعبةٌ من حسن ظنه بنفسه ، كأنه
يخبرك : « أترتضين بى أم لا ترتضين ؟ أبيني » . يسمع
أطرف السير بلا تبسم ، وأخاف لشدة كتابته في شبابه
أنه إذا بلغ أخريات أيامه عاش عيشة الفيلسوف الباكي .
لأوثر على الواحد من هذين أن اقترن برأس ميت ، في فمه
قطعةٌ من العظم

كما يشقيه جهد الفقر ؛ وإن السعد عين السعد في الحالة
الوسطى ، فإن مع الترف وشك المشيب ومع الشظف إمهال
الأجل

برسيا : نعمت الحكمة ، وحبذا مجراها على لسانك

نوريسا : لخير أن يُعمل بها من أن تقال

برسيا : لو كان العمل بالأصلح سهلاً كالعلم به لأغنت البيع الصغرى

عن الكنائس الكبرى ، ولكانت أكتانُ الفقراء هى القصور

الآهلات . . . أفضل الواعظين هو ذلك الذى يتعظ بنفس

أقواله ، قد يهون على تعليم عشرين سامعاً أكثر مما يهون على -

لو كنت أحدهم - أن أنتصح بنفس نصائحي . العقل يسُن

القوانين للحواس ، ولكن حرارة الطباع تدوس تلك الروابط

الباردة . ما أشبه جنون الشباب بالأرنب الوثاب ، وما أشبه العقل

بالشرك الضعيف ، أفلت منه ذلك الأرنب ، فمضى لغير مأب

على أن هذا القياس لا ينفعنى أدنى نفع فى اختيار

زوج لى ، كيف أذكر الاختيار وما بوسعى انتقاء من

يعجبنى ، ولا ردُّ من لا أحب . جعلت لإرادتى - وأنا

فتاة فى اقتبال الحياة - رهن إرادة تقدم بها إلى والد هو الآن

ميت . أليس شاقاً على النفس يانوريسا أن تكون الفتاة غير

قادرة على قبول من تود أو رفض من لا تود ؟ !

نريسا : كيف تقولين في الشريف الفرنسيون المسوي ليون ؟
 برسيا : هيكذا خلقه الله ، ولا اعتراض لي على وجود مثله بين الرجال .
 أعرف أن سخرية المرء من أخيه خطيئة ، لكن ذلك الرجل
 أكرم حصاناً من النابل ، وأقبح عبوسة من الكنت البالاتي
 هو كل شيء ولكن لا شيء . إذا تغنى الشحور ترقص
 له ، وإذا لقي ظله بارزه ، فاقتراى به إنما هو اقتران بعشرين
 زوجاً . ولو احتقرني لغفرت له ، إذ لو أحبنى إلى الجنون
 لما أصاب مني سوى الاحتقار

نريسا : إذا ما فكرت في فلكنبرج البارون الإنجليزي ؟
 برسيا : تعلمين أنني لم أخاطبه . إنه ناعم الأظفار لا يفهم كلامي ،
 كما أنني لا أفهم كلامه . هو يجهل اللاتينية ، والفرنسية
 والإيطالية ، وأنا أجهل الإنكليزية إلا كلمتين لا تقوم معهما
 الشهادة لدى القضاء بأنني أحسن هذه اللغة . به جمال
 ولكنه كجمال الصور ، وأني لي أن أتمتع بحديث مع صورة
 ملبسه غير مألوف . وأظن أنه اشترى صدراره من إيطاليا
 وسراويلاته القصيرة من فرنسا وقبعته من ألمانيا واتخذ عاداته
 من مختلف الأقاليم

نريسا : وما قولك في جاره النبيل الأسكتلندي ؟
 برسيا : إنه شديد الرغبة في الإحسان إلى أخيه الإنسان ، بدليل أنه

اقترض صفقة أخيه الإنكليزي ، ثم أقسم ألا ماردتها إليه
حين يستطيع ، وفي زعمى أن الفرنسي ضمن له المعونة على
هذا الرد ، لكنه زور صلك الضمان

نريسا : ما حكمك في اليافع الألماني ابن أخى دوق سكس ؟
برسيا : بغضب قبل الصبح ، وأبغض منه بعد الغبوق . يوشك في
أحسن أوقاته أن يكون رجلا ، وفي أقبح أوقاته لا ينوق
الحيوان الأعجم إلا بشيء يسير . والخيرة لى مع ترجيح
السيئات على الحسنات أن أستغنى عنه

نريسا : لو أنه اقترع في المقترعين وأصاب الصندوق الرابع ، أفتأبينه
لك بعلا فتخالينى لإرادة والدك ؟

برسيا : ضعى كأساً كبيرة من خمر الرين على الصندوق المقابل لذاك
يترام إليها لا محالة ، ويؤخذ بهذه الحيلة ، وإلا آثرت كل
مصير أصير إليه في الدنيا على التزوج من إسفنجة !

نريسا : لا تخشى يا سيدتى أحداً من هؤلاء ، فقد علمت بعزمهم
على العود إلى ديارهم ، وعدوهم عن الطموح إليك ، إلا
إذا وجد موفق منهم وسيلة لاكتسابك غير القرعة التى أوصى
أبوك بها

برسيا : لو عشت أطعن فى السن من السبييل لمت أطهر فى ملمس
عفتى من ديانا ، ولم أتزوج إلا على الطريقة التى اختارها

أبى. أنا مسرورة بما عند هؤلاء الخطّاب من سرعة الإدراك ،
 ممتنة لغيابهم جميعاً ، داعية ربى لتوفيقهم فى السفر
 نريسا : ألا تذكرين ياسيدنى أنك رأيت فى حياة أبياك رجلاً متأدباً ،
 شجاعاً من أهل البندقية ، زاركم مع الماركيز دى منفرات
 برسيا : بلى ، بلى ، وكأننى أتفطن لاسمه . . . باسانيو . . .
 فيما أظن
 نريسا : أجل ياسيدنى ، وأحسبه أخلاق من رأيت بأن تهواه امرأة
 جميلة
 برسيا : أذكره جيداً ، وهو جدير بمحبتك — « يدخل خادم » —
 إليها ، ما وراءك ؟ !
 الخادم : الأجانب الأربعة يلتمسون أن يروك للاستئذان بالرحيل
 وجاء رسول من أمير مراكش يقول إن سيده سيفد الليلة
 برسيا : إذا قدر لى أن أتلقى الخامس بسرور يعادل سرورى
 بوداع الأربعة الآخرين ، ابتهجت بقدمه ، على أنه لو
 اجتمعت فيه بيضُ شمائل الأولياء إلى سواد وجه الشيطان
 لحبسته كاهناً ، ونبدته قريناً — هلمى نريسا — « للخادم »
 أنت تقدمنا . بينما نحن نقفل الباب فى وجه خاطب ، إذا
 خاطب غيره يقرع الباب .
 « تخرجان »

المشهد الثالث

البندقية — ساحة عامة

- شيلوخ : ثلاثة آلاف درق — حسن بسن
 باسانيو : أجل ياسيدى لثلاثة أشهر
 شيلوخ : لثلاثة أشهر . حسن بسن
 باسانيو : بصك على أنطونيو كما أنبأتك
 شيلوخ : بصك على أنطونيو — حسن بسن
 باسانيو : أأعتمد عليك ؟ أتسعفى ؟ ما جوابك ؟
 شيلوخ : ثلاثة آلاف درق ، لثلاثة أشهر ، بصك على أنطونيو !
 باسانيو : ماقولك فى هذا ؟
 شيلوخ : أنطونيو كفف " هذا القدر
 باسانيو : أعندك ريب ؟
 شيلوخ : لا ، لا . إذا قلت إنه كفف ، فالمعنى أنه قادر على الوفاء .
 سوى أن مملوكاته ليست بثابتة . له سفينة فى طريق طرابلس ،
 وثانية فى طريق الهند ، وسمعت عن ثلاثة تيمم المكسيك ،
 ورابعة تنحون نحو إنجلترا ، وعن سفين آخر متوزعة فى آفاق

آخر . غير أن المراكب ليست إلا خشباً ، والملاحين ليسوا
إلا أناساً . دع أخطار الأمواج والأرياح والصخور . إلا
أن الرجل كفء للوفاء . ثلاثة آلاف دوق . أظن أنني
أستطيع قبول صكه

باسانيو : تستطيع ولا شك

شيلوخ : سأنظر فيما إذا كنت قادراً ، وأفكر في الأمر قبل البت فيه ،
أيتسنى لي أن أكلم أنطونيو ؟

باسانيو : إن أحببت تناول العشاء معنا

شيلوخ : نعم لتشتمّ مني ريح الخنزير ، وليدخل في جوف ذلك الحيوان
الذي دعا عليه نبيكم الناصري ، فأسكن فيه الشيطان .
حباً لكم إن تكن بيني وبينكم مبايعة أو مشاركة ، أو
محادثة ، أو مماشاة إلخ . أما المؤاكلة ، والمشاركة ، والمشاركة
في الصلاة فلا . ما أخبار التجارة في المصنق — من القادم ؟

« يدخل أنطونيوس »

باسانيو : السنيور أنطونيوس

شيلوخ : « منفرد » ما أظهر الرفض على وجهه المرأى بالتقوى .
أبغضه لأنه نصراني ، وخصوصاً لأنه جاهل أبله ، يقرض

٤٩

المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد في البندقية . لكن
أخذت بتلابيبه يوماً لقد شفيت حزازاتي القديمة منه . هو يبعث
أمتنا المقدسة ويسخر - حتى في المصنف الذي يجتمع فيه
التجار عادة - منى ومن معاملات ومن أرباحي المحللة التي
ينعتها بالربوية . لعنت عشيرتي إن كنت غافراً له هذه الذنوب

باسانيو : أسمعت ما أقول ؟

شيلوخ : كنت أحسب ما بين يدي من النقود ، ويخيل إلى - إن
صدقت ذاكرتي - أنني لا أستطيع في الحال تجهيز ثلاثة
آلاف دوق كاملة . بل يخطر لي أن طوبال - وهو من أغنياء
قوى - يجيئني إلى ما أطلب . لكن مهلاً ؛ إلى أي أجل
« غاطباً أنطونيو » عم صباحاً ياسيدي ، كنا في ذكراك

أنطونيو : شيلوخ . إنني على كوني لا أقرض ولا أقترض بربح أجدي
مضطراً إلى مخالفة مألوفي قضاء لحاجة صديقي « إك لنسلو »
« أعلم المقدار الذي تطلبه ؟

شيلوخ : نعم ، نعم ، ثلاثة آلاف دوق

أنطونيو : لثلاثة أشهر

شيلوخ : كنت قد نسيت . لثلاثة أشهر كما قلت آنفاً . بصك منك .

حسن بسن . لننظر قليلا . لكن أما سمعت أنك لا تأخذ
ولا تعطى بالفائدة

أنطونيو : بلى ، والحق ما سمعت

شيلوخ : عندما كان يعقوب يرى سائمة عمه لابان — ويعقوب هذا
بفضل أمه الحكيمة هو الثالث من نسل سيدنا إبراهيم . . .

أنطونيو : علام تستشهد به ؟ أفترعم أنه كان يقرض بالربا ؟

شيلوخ : لالم يكن مقرضاً بالربا . لم يكن ذلك ما يفعله بحصر المعنى ،
ولنما كان المتفق عليه بينه وبين لابان أن كل الخراف التي
تنتج معلمة بلونين ، تجعل أجراً ليعقوب . فلما كان آخر
الخريف وحالت النعاج ، فالتصمت ذكورها ، خطر
لرأعيها الفطن أن يقطع قضباناً يعريها من قشورها ، ويضعها
تجاه النعاج وقت ضرابها ، فنجم من رؤيتها أن النعاج
نتجت حُملاً ناعماً مخططة البلود بلونين ، وهذه الحملان حقت
ليعقوب . فهذه وسيلة من وسائل الكسب بآرك الله ليعقوب
فيها . وكل ربح — ما لم ينجى من السرقة — فهو حلال
أنطونيو : كان يعقوب يخدم على كراء لايسته استزادته ، ولا الانتقاص
منه إلا ما يشاء الله وما لا يستطيعه أحد سواه . أفترعم هذا
مثلاً مبيحاً للربا ؟ وهل ذهبك وفضتك نعاج وكباش ؟

شيلوخ : ما أدري ، ولكننى أستتجها بمثل تلك السرعة . تنبه لهذا ياسيدى !

أنطونيو : وأنت يا باسانيو تفتطن ، إن الشيطان يستطيع الاستشهاد بالتوراة لتصويب أعماله ! فما مثل النفس الشريرة التى تجمىء بتلك الاستشهادات الصالحة إلا مثلُ المحرم الذى يتسم ، أو الثمرة الناضرة التى لبها متعفن . ما أكثر الظواهر الخادعة التى تشبه الرذيلة بالفضيلة !

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوق - مقدار جُسام . ثلاثة آلاف فى اثنى عشر ؟ لننظر : ما تكون فائدتها ؟

أنطونيو : مهما تكن . أفقتضى حاجتنا ؟

شيلوخ : يا سنيور أنطونيو طالما صادفتنى فى مصفىق الريالتوفسخرت من أعمالى المالية ومن مرابأتى ، فلم أقابل ذلك إلا برفع الكتفين ، وجميل الصبر لأن الألم هو إحدى الآفات التى خصت بها أمتنا . وطالما نعتنى بالكافر ، أو الكلب الكلب ، وبصقت على عباقتى التى يعرف منها الناس يهوديتى ، كأنك تعينى لاستعمالى ما هو ملكى . أما الآن فيظهر أنك فى حاجة إلى : « شيلوخ نريد منك نفوداً » من يقول لى هذا ؟ أنت يامن ينفثُ فى لحيتى لعبه ، ويطرمنى من حضرتة ركلاً ، كما يطرده الكلب الأجنبى من عتبة البيت . تطلب منى مالا !

فيم ينبغي أن أجيب ؟ أبحرز الكلب نقوداً ؟ أيعقل أن كلباً
بقرض ثلاثة آلاف دوق ؟ أم يتعين علىّ أن أحرّ إلى الذقن ،
وأن أرد عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع : « يامولاي
الجميل ! يوم الأربعاء المنصرم بصقت في وجهي ، ويوماً قبله
طردتني ضرباً برجليك ، ويوماً قبله دعوتني بكلب ، فقياماً مني
بحق تلك المكارم كلها سأقرضك نقوداً » ؟ !

أنطونيو : من المحتمل أنك ستجدني مسمياً لك بتلك الأسماء ، أو
باصقاً في وجهك ، أو طارداً إياك برجلي ، فإن كنت راغباً
في إقراضنا المالَ فلست دائناً به أصدقاء ، وأنيّ للصداقة
أن تتولد من حيث لا رحم ؟ أنت تقرض عدواً فإذا أبطأ عن
الإيفاء في الأجل ، كنت في حلّ من تسخيريط القانون عليه
بكل قوته

شيلوخ : انظر كيف تستشاط . أريد أن أكون صديقاً لك ، وأن
أحصل على عطفك ، وأن أنسى ازدراءك إياي ، وأن أقضي
حاجتك الراهنة ، بلا تقاضي فائدة ما ، وأنت تأبى سماع
ما أعرضه عليك من جميل العرض

أنطونيو : لو فعلت لبالغت في الإجمال

شيلوخ : سأثبت لك مجاملتي — لنذهب إلى محرر عقود فتخطّ الصك
لديه ، ومن باب المزاح سأستكتبك إقراراً بأنك إذا لم تدفع

زُهاء ذلك الخط في يوم كذا يمكن كذا توجب لي عليك
اقتطاع لبرة من لحمك في المكان الذي أختاره من جسمك ..
أنطونيو : أوافق بارتياح على هذا الاقتراح ، وسأوقع على الصك محرراً
بهذا النص ، شاكراً لك هذه المجاملة اليهودية

باسانيو : لن تخط خطاً كهذا لأجل أبدي الدهر !
أنطونيو : لاتخش بأساً يا صفي ، سأقوم بعهدى ، فبعد شهرين ،
أى قبل الأجل بشهر ، تردنى أو ساق بثلاثة أضعاف هذا القدر
شيلوخ : يا أبانا إبراهيم ! هؤلاء النصارى عجب أمرهم .. ساءت
فعالهم فقبحت بالناس ظنونهم . أنت مخبرى ماذا أكسب من
إنفاذ هذا الشرط إذا لم يف المدين بما عليه . للرطل من لحم
رجل أقل قيمة من رطل الضأن أو البقر أو الماعز . إنما أفعل
هذا توسلاً به إلى مودته ، فإن رضى فيها ونعمت ، وإلا
فأستودعكم الله راجياً ألا تبغضنى بشر من حيث أردت لكم الخير !
أنطونيو : أجب شيلوخ ، سأوقع على هذا الصك

شيلوخ : فتفضل وانتظرنى لدى محرر العقود ، وقل له : أن يخط
هذا الشرط المضحك ، أما أنا فأمضى بلحلب الدوقيات
واللقاء نظرة فى بيتى الذى يحرسه ماهن مكسال ، لا ينبغي
لرب البيت أن يستنيم لهمة ، ثم أدرككم :

الفصل الثمانى

المشهد الأول

بلمنت - قسم فى قصر برسيا

« يدخل أمير مراكش مع أتباعه وبرسيا مع أتباعها ونريسا »
« معازف »

الأمير : لا تنفري من سمرة أدبى، فإنها مَسَّحة من جوار الشمس لى
فى مسقط رأسى . على أنك لو جئتى بأبهى رجل من أهل
هذه الأقاليم الشمالية التى لا تكاد أشعة النهار تذيب صقيعها
لواقفته موقف الفصاد، وأشهدتك من منّا دمه أشد احمراراً ؟
ثم اعلمى ياسيلتى أن رؤيتى طالما أرعدت الشجعان ،
كما أنها - وحبك - طالما كانت قيد الأوابد من الحسان فى
أوانس بلادى ، وثئن حدثنى شىء على التبدل بلون مُشْرِقٍ
من لوني القاتم لما كان إلا ابتغائى رضاك يا مليكتى !
برسيا : لن أجعل لإيثارى قائماً على ما تشهد به عينائى ، وأنا فى
عهد طفولتى واغترارى ، بل أنا تابعة لحكم القرعة دون

اختيارى ، ولولا أنى مقيدة بهذا القيد الذى إنما جعلت به زوجاً للموفق فى فطنته ، لما كان بين الخطّاب الذين رأيتهم واحداً أولى منك بعطفى

الأمير : هذا كثير وأشكره لك . . ثم أستزيدك جميلاً : أن تدلّنى على موضع تلك الصناديق ، فأتبعن بختى . حلفت بهذا الحسام الذى قتلت به صوفيّاً وصرعت أميراً أعجميّاً ، وأحرزت النصر العزيز فى ثلاث وعككات ، جرت بينى وبين السلطان سليمان ، لو اقتضانى غرامى أن أردّ كل سامى الطرف ناكس البصر ، أو أن كافح كل قرم عنيد قهار شديد ، بل لو سامنى انتزاع رضيع الوحش الضارى عن ضرع أمه ، أو مناوأة الضيغم المحصور وقد استفزه القوم ، لفعات طمعاً فى الظفر بك ، ولكنه - واحرباً - أمر منوط بالمقادير ، والمقادير ربما سددت سهم الضعيف وأطاشت سهم القدير ، وربما أدنت حظ الآجر وأعلت حظ الأجير ، فههنا مجال المكره ، لا البطل ، وإنى لأخشى أن أخفق حيث يفوز من هو درنى فأموت بشجورنى

برقسيا : أما مك اثنان لا ثالث لهما ، إما أن تعدل وإما أن تصيب ما يقضى به لك الصندوق الذى تعيّن به هذا بعد أن تقسم على أنك إن أخفقت لم تتخذ لك زوجاً بقية عمرك . تفكر ثم تخير

الأمير : رضيت بهذين الشرطين : لنمض فأعلم ما يقضى به طالعي
برسيا : بل نذهب أولاً إلى حيث تحلف يمين الموافقة ، وبعد العشاء
تشرح في الخيرة
الأمير : أسأل الله لإنجاح قصدى فإنى بعد هذا الاقتراع : إما أسعد
الخلق ، وإما أتعسهم .

المشهد الثانى

البندقية — جادة

« يدخل لنسلو جوبو »

لنسلو : ضميرى يحتم على أن أترك خدمة اليهودى مولاي . والشيطان
على مقربة منى ، يخادعنى بقوله : جوبو ، لنسلو ، يا صديقى
لنسلو ، أو يا صديقى جوبو ، أو يا صديقى لنسلو جوبو ،
أعمل فخذليك ، وانج بنفسك . ثم يقول لى ضميرى : حذار
يا لنسلو التزیه ، حذار يا جوبو المستقيم ، أو كما كنت
أقول آنفًا : أيها التزیه لنسلو جوبو
لا تبرح ، وترفع عن إجهاد فخذليك فى الهزيمة . إلا أنه — أى
الشيطان — لا يلبث أن يعيد على نصيحته بالارتحال متشددًا

فيها مهيباً لى : « أفلح . تشجع . أنجُ بنفسك » . عندئذ يعلق ضميرى برقبة فؤادى ، ويقول لى عن حكمة : « يا صديق لنسلو القويم ، ابن الرجل المستقيم وابن المرأة المستقيمة » - ذلك أن والدى كان يذوق الثمرة التى بين يديه ولا يخلو من سلامة فى الذوق: عندئذ يقول ضميرى: « البث لنسلو » ، فيقول الشيطان : « فراراً » فيقول الضمير : « إياك » ، فأقول لأحدهما : « يا ضميرى حسنت نصيحتك » . ثم أقول للآخر « أيها الشيطان أين الصواب فى مشورتك » . لو جاريت الضمير لأقمت مع اليهودى الذى هو - أستغفر الله - ضرب من الشيطان ، ولو فارقت اليهودى لأصبح زمامى فى يد الشيطان الذى هو - ولا مؤاخلة - الشيطان بعينه ، وهذا اليهودى بشخصه . وبلدتى إن ذمتى لتركب الشطط حين تنصح لى بالملكث عند اليهودى . وإنما الشيطان هو الذى ينصح لى نصيحة الصداقة . سافر ، سافر . أمرك مطاع أيها الشيطان

« يدخل جوبو المجوز حاملاً سلالاً »

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل إلى بيت اليهودى ؟
لنسلو : « منفرداً » يا لله ! هذا أبى ، والذى بالحلل لم يعرفنى لشدة حسره ! سأختبره اختباراً مداعبة

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل إلى بيت اليهودى ؟

لنسلو : عندما تصل إلى العطفة الأولى تحيد يمينا ، فإذا بلغت العطفة الثانية تحيد شمالاً ، ثم تدرك العطفة الثالثة ، فهناك لا تحيد إلى جهة من الجهات وتتجه بانحراف إلى بيت اليهودى

جوبو : يا فيض الله ، هذه طريق لاتسهل معرفتها . أأنت مخبرى إن كان الفتى المقيم معه - واسمه لنسلو - مقبلاً معه أم لا ؟

لنسلو : أتسأل عن المسيو لنسلو الأصغر «منفرداً» تأملوا فى الآن سأستلزم المياه - أتسأل عن المسيو لنسلو الفتى ؟

جوبو : لا ياسيدى ، ولكن عن ابن رجل فقير أنا أبوه - وإن كنت أنا مدعى هذه الدعوى ، رجل مستقيم معسر ، مدقّسع ، لكنه - بحمد الله - حسن السيرة والأخلاق

لنسلو : لا يهمنى أبوه كائناً من كان ، وإنما نتكلم على لنسلو الأصغر

جوبو : أجل ، بإذنك نتكلم على لنسلو

لنسلو : لا نتكلم على لنسلو أيها الشيخ بعد الآن ؛ فإن ذلك

الشاب قد أذن به الدهر أو القدر أو أى مسمى آخر
بأسماء الصروف الصارمة لحبال الآجال من علمية وغير علمية
فمات موتاً ، أو بعبارة أشيع فى العامة ذهب إلى السماء .

جوبو : أعفانى الله من هذا المصاب ، فالفتى هو سدى ،
وحيدى ، عكاز شيخونحتى

لنسلو : أظاهر على أننى أشبه عصاً أو هراوة أو دعامة خيمة
أتبيتنى يا أبى ؟

جوبو : لا يا سيدى الفتى ، لكن أرجو أن تقول ولدى (رحمه الله)
حتى أم ميت

لنسلو : ألم تعرفنى يا أبت ؟

جوبو : أسفًا يا سيدى إن نظرى ضعيف ولم أتبينك

لنسلو : لو كان بصرك سليماً . . . ومن هو فى الآباء ذلك الفطن
الذى يعرف ابنه . . . أيها الشيخ . سأعلمك بأنباء نجلك .
باركنى « يحنو » ينبغى أن يبرح الحفاء . القتل لا يخفى دهرًا
ولكن انتساب الولد لأبيه قد يستسر طويلاً ثم تنجلي الحقيقة

جوبو : أرجو يا سيدى أن تنهض ، فإنى موقن أنك لست بلنسلو ولدى

لنسلو : لا تماد أكثر فى هذا المزاح ، باركنى ، أنا لنسلو
غلامك سابقًا ، ونجلك الآن ، وابنتك إلى الأبد .

- جوبو : لا أصدق أنك ابني
- لنسلو : لا أدري ما الذى يحسن بى اعتقاده فى هذا المعنى ؛
لكننى أنا لنسلو الماهن لدى اليهودى ، وعلى ثقة لا ريب فيها
من أن امرأتك مرعرتا هى أوى
- جوبو : اسمها فى الحقيقة مرعرتا ، غير أنى لم أكن لأقسم
أنك لنسلو من لحمى ودى . تبارك الله ما هذه اللحية التى
صار الشعر فيها أكثر منه فى ذنب «دوبين» حصاننا الجرار
- لنسلو : لإذن شعر دوبين ينمو خلافاً ، لأننى فى آخر ما رأيته
كان الشعر فى ذنبه أكثر منه فى ذقنى
- جوبو : لقد تغيرت . كيف حالك مع مولاك — أنا قادم إليك
بهدية ، أعلى وفاق أنما ؟
- لنسلو : على المرام ، على المرام . لكننى أنا قد عزمت على الهزيمة إلى
: أبعد ما أستطيع عن ذلك اليهودى القحّ . أتهاديه ؟ أولى لك
أن تضع حبلاً فى عنقه وتشدّه . أمانى جوعاً ، وهذه
أضلاعى تقدر أن تعدّها بأصابعك . يا أبت أنا مسرور
بمجيئك . آثر بهديتك سيداً يدعى با سانيو . فإنه يلبس
خادمه خلعةً فاخرة نفيسة ، فإن لم يتيسر لى أن يستخدمنى
هذا السيد ، لبثت أفرّ ما دام فى الأرض طول وعرض .
يا لسعد طالعى ! ها هو ذا آت بنفسه . كلامه يا أبى وإلا

فإني إذا استمررت تحت أمر اليهودى صرت يهودياً

« يدخل باسانيو يليه ليوناردو وبعض خدم »

باسانيو : « مخاطباً خادماً » ليكن . قبلت . لكن ينبغي الإسراع
ليتسنى تهيؤ الطعام الساعة الخامسة . احرص على إيصال
هذه الرسائل . أوص بالخلع الجديدة . قل لغراتيانو أن
يجيئني بعد حين

لنسلو : كلمه يا أبي

جوبو : ليبارك الله في سيادتك

باسانيو : شكراً جزيلاً . أتبغي مخاطبتى في شيء ؟

جوبو : هذا غلامى يا سيدى ، وهو غلام فقير

لنسلو : لست فقيراً يا سيدى ، ولكنى ما هن لدى اليهودى الغنى ،

وملتمسى هو ما سيعرضه والدى لسيادتك

جوبو : هو مريض تشوقاً لخدمة . . .

لنسلو : بلا تطويل ولا تقصير ، أنا في خدمة اليهودى ، وأتمنى

ما سيعرضه أبى . . .

جوبو : ولا يخفى على سيادتكم أن اليهودى وهذا الغلام ليسا بابنى عم ،

بمعنى أنه . . .

لنسلو : بعبارة موجزة : اليهودى أساء التصرف في حقى ، وهذا هو

السبب في الأمر الذي سيقترحه والذي الذي هو — كما أرجو — طاعن في السن !

جوبو : أنا حامل إلى سيادتك بضعة أزواج من الحمام ، هل لك في قبولها ؟ وآماسي هو . . .

لنسلو : الخلاصة أن هذا الطلب جائز القبول ، كما سيذكره لسيادتك هذا الشيخ المستقيم ، الذي هو فقيرٌ ، وفوق ذلك هو والذي . . .

باسانيو : ليتكلم أحدكما عن الآخر . ماذا تريدان ؟

لنسلو : ألتمس الدخول في خدمتك يا سنيور

جوبو : هذا كل ملتسنا

باسانيو : « إى لنسلو » أعرفك جيداً وأجيب طلبك . كان شيلوخ

يكلمني عنك في هذا اليوم ، وسيكون له الفضل في رقيك

إن كان من الرقي الانصراف عن خدمة يهودى موسر ، إلى

خدمة شريف معسر

لنسلو : صدق المثل القديم : لقد تقاسمتما النعمتين أنت وشيلوخ :

له الأولى ، ولك الأخرى

باسانيو : صدقت « إى جوبو » اتبع غلامك أيها الوالد الصالح

« إى لنسلو » اذهب فاستأذن مولاك السالف ، ثم

استفهم عن دارى « إى خدمه » ألبسوه خلعة أبهج

زينة من خلع رفاقه . . . « يا جى ليوناردو »

لنسلو : يا أبى أصبح الحَرْجُج فى الحَرْج—أنا لا أعرف كيف تلتحقن الخدمة ، ولا كيف يستعمل اللسان « ناظرًا يده٩٩٩ » أما يندى فأية يد ممتدة للقسم على التوراة فى جميع إيطاليا تشبه يها ؟ سأكون سعيد الطالع . . . لا جرم . هذا الخط يدل على طول البقاء كما أرجو . وهؤلاء ، فى جانب الزواج ، نسوة شائقات ، لكنهن لسن بكثيرات ، وماذا تكون ؟ خمس عشرة امرأة ، وإحدى عشرة أَيْمًا وتسع بنات . هل هن زيادة عن الكيفاء للرجل المستقيم . هذا عدا نجاتى ثلاث مرار من الغرق ، ومرة من هلكة السقوط عن حافة فراش من الريش . على أن هذه النجاة الأخيرة ليست بعجيبة، ولكنها نجاة . ولئن كانت السعادة امرأة فلا شك أنها أحسنت عجن المادة التى قتلت لى منها هذه الخيوط .
تعال يا أبى ، سأستأذن اليهودى فى طرفه عين

« يخرج لنسلو وجوبو »

باسانيو : « مخاطبًا ليوناردو » أتضرع إليك أيها العزيز ليوناردو . تنبه لهذا ، ومتى اشتريت تلك الأشياء وربتها عند وشيكًا ، ليم بك أنسنا الليلة ، فى مجلس شراب سيشهده

- عندى أكرم أصدقائى . اذهب . بادر
- ليوناردو : سأتى بأحسن ما أستطيع . « يدخل غراتيانو »
- غراتيانو : « غاطباً لليوناردو » أين مولاك ؟
- ليوناردو : ها هو ذا يتمشى هناك « يمشى لليوناردو »
- غراتيانو : « جهراً » سنيور با سانيو . . .
- باسانيو : « ملتفتاً » غراتيانو
- غراتيانو : لى اقتراح عليك
- باسانيو : قد أجيب
- غراتيانو : ذلك ما ألع به : سأصحبك إلى بلمنت
- باسانيو : إذا أصررت لم أخالف ، لكن سمعاً يا غراتيانو : من مألوفك أن تتكلم بلا احتراس ، وتجهر بالصوت . فهذا ليس بعيب فيما بيننا ، ولكن ربما لم يحسن حيث تكون مجهولاً — فتكرم ولطف حدة طبعك ، بأن تضع فيها بعض نقط من الاحتياط ، والتواضع ، وإلاّ فربما جلبت خطتك على ما يضرى فى رأى الأناص الذين أقصدهم ، بل ربما قوضت آمالى
- غراتيانو : أنصت يا سنيور با سانيو : إذا لم تجدنى ثمة معتدلاً فى سيرى ، متكلمساً بوداعة ، ممتنعاً عن ألفاظ المهجر إلاّ أحياناً ، ممسكاً بكتب الأدعية والتلاوات الدينية ، جاداً

٦٥

في كل مقام ، جاعلاً في أوان الصلاة قبعتي نصبَ عينيّ
هكذا، فتنهداً، فقائلاً : آمين ؛ مراقباً كل مصطلحات
الأدب على نحو ما يفعل اليافع الذي يحاول لإرضاء
جده . . . إذا لم تجدني فاعلاً كل ما ذكرت فلا كانت
لك بي ثقة ، ولا كان لك علىّ معول

- باسانيو : رضيت ، وسأرى المنهج الذي تنهجه
غراتيانو : لكنني أستثنى مجلس الليلة وما سيجري فيه
باسانيو : خسارة في مثل هذه الليلة أن تفقد طلاتك ، بل
ينبغي أن ترتدي أحسن أزياء الابتهاج فيكتمل بك سرور
الإخوان أفضل ما كانوا استعداداً لذلك . سأتولى عنك الآن
لقضاء بعض الشؤون
غراتيانو : وأنا أنتظر هنا لورنزو ورفقاه ثم نجيثك جميعاً في ساعة
العشاء .

المشهد الثالث

نفس المدينة - مزارعة في بيت شيلوخ

« تدخل جسيكا ولنسلو »

جسيكا : أنا متكدرة لتركك أبى ، وستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمى ، الذى كنت تؤنسه أحياناً . امض مزوداً ، وهذا دوق هبة . لنسلو سترى لورنزو بين مدعى سيدك البلخيد للعشاء فأعطه هذه الرسالة ، لكن سرّاً . اذهب . لا ينبغي أن يرانى أبى أحدثك .

لنسلو : وداعاً ، وإليك هذه العبرات بدلاً من العبارات . يالك من وثنية ساحرة ، بل يهودية شائقة ! لئن لم يكن واحد من هؤلاء النصارى ساعياً مسعاً للص للفرز بك ، لئن لاذن لغرّ . لكن هذه الدموع قد استغرقت شجاعتي ، وأذا بت صلابتي . أستودعك السلامة « يخرج »

جسيكا : « منفرة » اذهب معافى يا لنسلو . ما أظلمنى لأبى بخجل من انتسابى إليه ! لكننى مخالفة له في الطبع ، وإن كان الدم واحداً . أى لورنزو إذا صدقت بوعده

فررت إليك من هذا المعترك الأليم ، فصبات عن
ديني ، وبت على مذهب قريني «تخرج»

المدينة عينها - جادة

« يدخل غراتيانو - لورنزو - سالارينو - سالانيو »

لورنزو : أجل ستسلسل في أثناء الوليمة فنغير أزياعنا في داري ،
وبعد ساعة نعود
غراتيانو : لم نستوف أهبتنا
سالارينو : لم نتكلم بعد عن موكب المشاعل
سالانيو : بثس الاختراع ، إلا إذا صفف بإبداع ، وعندى
أن الاستغناء عنه أفضل .
لورنزو : الساعة إنما هي الرابعة الآن ولدينا فسحة ساعتين لإعداد
كل شيء

« يقدم لنسلو بكتاب »

لورنزو : « متممًا » ما أخبرك يا صاحبي لنسلو ؟
لنسلو : إن شئت أن تفتح هذا الكتاب علمت

لورنزو : تبينت الخط ، وهو جميل ، حررته يد بيضاء أنصع
من هذا الطرس
غراتيانو : ألوكة غرام ولا ريب

« لنسلو متأخراً للانصراف »

لنسلو : بإذنكم يا مولاي
لورنزو : إلى أين ؟
لنسلو : إلى حيث اليهودى مولاي العتيق ، أدعوه لتناول العشاء عند
النصراني مولاي الجديدي
لورنزو : « معطياً لياء كيساً مهلاً ، خذ هذا . قل للعزيزة جسيكا إنني
سأق في الميقات . قل لها ذلك سرّاً . انصرف »

« يبتعد لنسلو »

لورنزو : « متمساً » أيها السادة : أتريدون أن نتأهب لمهرجان
السخرية في هذا المساء ؟ قد تيسر لي حامل مشعل
سالارينو : سأمضي من فوري
سالانيو : وأنا أحذو حذوك
لورنزو : أدركاني وغراتيانو في دار اليهودى بعد ساعة
سالارينو : لن نتخلف

« يبتعد سالارينو وسالانيو »

غراتيانو : ألم يكن الكتاب من جسيكا الجميلة ؟
 لورنزو : يجب أن أطلعك على كل سر . بعثت تسألني كيف
 أختطفها من بيت أبيها ؟ وكيف تنجو بما ستحملة
 من الذهب والحجارة الكريمة ؟ وتخبرني أنها استصنعت خلعة
 وصيف لتختفي بها على الرقباء . لو تقبل الله أباه يومًا
 في السماء ، لم له ذلك بشفاعة تلك الكريمة الحسنة ، ولو
 استجاز مصاب أن يعترض سبيلها لما ترخص لذلك إلا من
 كونها ابنة يهودى بلا إيمان . هلم بنا وقرأ هذه في الطريق .
 ستكون جسيكا حاملة مشعل .

« يخرجان »

المشهد الخامس

البندقية — أمام بيت شيلوخ

« شيلوخ ونسلو »

شيلوخ : سترى عما قليل بعينيك سعة الفرق بين شيلوخ العجوز
 وباسانيو « يدعو » جسيكا — لن تأكل الحلوى بشراة كما
 كنت تحملوني عندى — جسيكا — لن تقضى معظم وقتك في

النوم والغفيلط وتمزيق ثيابك - جسيكا أتخضرين ؟

لنسلو : « منادياً » جسيكا

شيلوخ : من كلفك أن تدعوها ؟

لنسلو : طالما وبختني لأنني لا أصنع شيئاً إلا بأمر

« تجي، جسيكا »

جسيكا : أتدعوني ، ماذا تريد مني ؟

شيلوخ : سأتعشى اليوم خارجاً يا جسيكا . هذه مفاتيحي .

لكن علام أذهب ؟ لم يدعوني عن حب - مأرب لاحتفاوة -

بل أذهب انتقاماً منهم لأكل من نفقة ذلك النصراني المسرف :

بنيتي جسيكا راقبي الدار . سأغيب برغمي خائفاً من كيد

يكاد لي ، لأنني رأيت أكياس فضة في منامى أمس

لنسلو : أضرع إليك يا سيدى أن تذهب ، فإن مولاي الحديد قد

عول على وعدك

شيلوخ : وأنا معول على وعده كذلك

لنسلو : ولقد أضمرنا شيئاً لهذه الليلة ، وأسروا النجوى فيما بينهم .

لن أبوح بما أخفوه ، لكنك إذا رأيت الليلة مهزجان أناس

متكررين لم يكن ذلك إلا مصداقاً لرُعاف أنني يوم الاثنين

المتصرم المعروف في التاريخ باليوم الأسود في الساعة السادسة

صباحاً ، على حين أن الرعاف الذى جرى لى قبله إنما كان فى يوم أربعاء الرّماد نحو الأصيل

شيلوخ : سيتكرون ؟ اسمعى يا جسيكا . غلقى الأبواب بإحكام

ولإذا سمعت طبلًا وزمرًا نزاز النغم فحذار حذار أن تذهبي

إلى الكوة ، أو أن تطلّى بوجهك على الجمهور لترى الوجوه

المستعارة التى يطوف بها أولئك النصارى البلهاء . أفضلى

آذان دارى « النوافذ » ، ولا تصل ضوضاء أولئك المجانين

إلى بيتى الساكن الأمين . قسمًا بعضا يعقوب إننى

ذاهبٌ فى هذا المساء إلى تلك الوليمة بكرهى وبلا أدنى رغبة

منى لكننى سأذهب « إلى نسلو » اسبقنى وقل إننى قادم

لنسلو : سأسبق يا سيدى « بصوت منخفض لجسيكا » لا يمنعك هذا

من التطلع فر بما جاءك نصرانى موعود ، خليك بمودة

كراثم اليهود « ينصرف »

شيلوخ : ماذا يقول هذا الغر من نسل هاجر ؟

جسيكا : قال وداعاً يا مخدومتى ولم يزد

شيلوخ : غلام لا بأس به . لكنه أكل نهم بطيء فى العمل ،

نؤوم ، كالسنور البرى ، أنا لا أحب الزنابير فى خليتى ؛

ولهذا طبت عنه نفساً لغيرى ، فليعن مولاة الجديد على إنفاق

المال الذى أقرضته إياه بسرعة . عودى يا جسيكا ، ولعلى

لا ألبث أن أرجع . افعل ما أوصيتك به . غلق الأبواب :
 « من احتبس ، لم يجتس » ! هذا مثل دائم الحضور في
 ذهن المقتصد « يتعد »
 : أستودعك الله . ولئن تحقق ما نويت لقد فقدت أبي وفقدت
 أنت ابنتك « تبعد »

المشهد السادس

عين المكان

« يدخل غراتيانو وسالارينو مثكرين »

غراتيانو : هذا هو الرواق الذى أوعز إلينا لورنزو أن ننتظره فى فيثه
 سالارينو : مضت الساعة أو كادت
 غراتيانو : عجيب أن يتباطأ وما هذا شأن العاشقين ؟
 سالارينو : من عادة حماثم الزهرة أن يطرن إلى عقد مودات جديدة
 بأسرع مراراً مما يجتمن للبقاء على مودة قديمة
 غراتيانو : ستكون الحال أبداً هكذا : أى الضيوف وقد فارق
 المائدة تكون شهوته للطعام كما كانت حين جلوسه إليها ؟ أى

٧٣

جواد إذا رُدَّ في الطريق الوعة التي جازها من قبل ،
لا يتباطأ في الرجوع ؟ في كل أمور هذه الدنيا نحن أنشط
حين نسعى إلى المطلوب منا حين نتمتع به . انظر إلى الفُلك
إذ تفارق مرفأها الأصلي فراق الولد الشاطر لبيت أبيه ،
فتنشر رايتهما الزاهية الألوان ، يداعبها الهواء دعاب الهوى ، ثم
انظر إليها تعود عودَ ذلك الولد الشاطر ملوية الأضلاع ممزقة
الشرع مهدمة الجوانب بفعل النسيم الفاسق " يجيء لورنزو "
هذا لورنزو ، سنستأنف الكلام في هذا

لورنزو : يا أصدقائي الأعزاء ، اغفروا لي إبطائي الممل ، فلنما أعمالى
التي سببته . وإني لأعذركم ، بأن أنتظركم ما شئتم حين يخطر
لكم أن تختطفوا عرائس " يتقدم " هذا بيت اليهودى نسبي -
هيا ، أأحد هنا ؟

جسيكا : « بلباس الوصيف تنظر من النافذة » من أنت ؟ تسمّ لأزداد
طمأنينة ، وإن عرفت الصوت

لورنزو : حبيبك لورنزو
جسيكا : لورنزو محقق ، حبيبي بلاريب ، ألى عندك من الهوى
ما لك عندي ؟

لورنزو : السماء وقلبك يشهدان بصدق غرامي
جسيكا : « ملقبة صندوقاً » تناول هذا الصندوق . فيه ما يستحق

هذا العناء . أنا فرحة بأن الوقت ليل ، وأنتك لا تستطيع
رؤيتي ، لأنني خجلة من تنكري بهذا الملبس . إنما الغرام
أعمى ، وليس للمتحابين أن يروا هم آثار جنونهم ، إذ لو
قدروا على استجلاء الحقيقة لحجل الغرام نفسه من تشكلى
بهذا الشكل

لورنزو : انزلى فقد جعلتك حاملة مشعل
جسيكا : ما تقول ؟ أبيدى أحمل النور الذى يكشف فضيحتى ، على
كونها أجدرَ بالإخفاء لشدة وضوحها . لا بدلى من الاستتار
لورنزو : حسبك استتاراً يا حبيبتى فى ثوب الوصيف ، أسرعى لأن
الليل يتقدم ونحن منتظرون فى وليمة باسانيو
جسيكا : سأقفل الأبواب وأجلب ما أستطيعه من الدوقيات
« تتوارى من النافذة »

غراتيانو : حلفت بقبعتى إنها لطيفة وليست يهودية
لورنزو : أقسم لكم إننى أحبها بكل جوارحى ، لأنها حسيمة متبصرة —
على ما أستخلص ، ولأنها جميلة — على ما أرى ، ولأنها
مخلصة — على ما تبين ، فبالنظر إلى كونها فتاة عاقلة حسنة
طاهرة ، قد أقررت منزلتها فى قلبى مدى العمر « تحضر
جسيكا » سرعان ما حضرت . لننصرف يا سادة . إن إخواننا
المتنكرين ينتظروننا

« يذهبون إلا غراتيانو ويحضر أنطونيو »

أنطونيو : من الشخص ؟

غراتيانو : ألسن السنيور أنطونيو ؟

أنطونيو : أف يا غراتيانو ! أين الآخرون . الساعة التاسعة . وأصدقائنا في الانتظار . ستكلف زينة الليلة لأن العواصف هبت وباسانيو مبحر بعد هنيهة ، وقد أرسلت عشرين نفساً في طلبكم :

غراتيانو : حبذا ما تبشرني به فلا شيء أحب إلى من الإقلاع ، ولو في مثل هذا الليل .

« ينصرفان »

المشهد السابع

بلمنت - مزارعة في قصر بروسيا

« صوت معازف - تدخل بروسيا وأمير مراكش وتبعهما »

بروسيا : لترفع هذه الستارة ، وليدل هذا الأمير النبيل على الصناديق الثلاثة « يرفع الحجاب وتظهر الصناديق ، أحدها ذهب ، والثاني فضة ، والثالث رصاص » الآن تخير .

الأمير : «متأثلاً» الأول من ذهب ومكتوب عليه

من اصطفاني فقدمًا تمتت الناس وصلى

الثاني من فضة ومكتوب عليه :

من انتقاني فإني أهل له وهو أهل

الثالث من رصاص ومكتوب عليه :

من ابتغاني فأعزز بما يهين لأجلى

كيف أعلم أننى أحسنت الانتقاء ؟

برسيا : أيها الأمير فى أحد هذه الصناديق رسمى ، فإن اهتديت إلى الصندوق الذى هو فيه فإنى لك .

الأمير : لينطقنى الله بالصواب . سأعيد قراءة الأبيات المنقرشة بادئاً من آخرها :

من ابتغاني فأعزز بما يهين لأجلى

علامَ المجازفةُ بكل شيء : أللحصول على رصاص ؟

هذا الصندوق مشوم الطالع . الرجل الذى يخاطر بكل شيء

جدير بأن يتطلب من وراء ذلك فوائد وافية . النفس العالية

لا تتدانى لالتماس مثل هذه المادة المستخسنة . ماذا يقول

صندوق الفضة ؟

من انتقاني فإنى أهل له وهو أهل

قف قليلا يا أمير مراکش . زن قيمتك وزن إنصاف . لو رجعت في الحكم إلى ما تقوم به نفسك لأغليت . ولكنك مهما تغال ، وتكن على حق ، فربما لم تكن بالغاً من القدر ما يؤهلك لهذه الغيداء ؛ على أننى لو نظرت من جهة أخرى لما جاز لي الارتياح في قدرى ، ولا الإزراء على نفسى . ما أستحق ؟ أنا كفى لهذه الحسنة بمحتدى وبجاهى ، وبجمال ملاهى ، وأدبى ، وخصوصاً بجي . لعل الهدى في وقوفى ههنا ؟ بل لنقرأ ما على صندوق الذهب :

من اصطفاني فقدماً تمنى الناس وصلى

معناه أن كل إنسان يتمنى ربة هذا القصر ، وأن الخطاب من كل أطراف الدنيا يسعون لتقبيل الوعاء المشتمل على هذه الحوراء الدنيوية . فمن جهة قد تحولت فدأفد أركانيا ، وفيافي بلاد العرب إلى مسالك يسلكها الأمراء قادمين من كل صوب لمشاهدة جمال برسيا ، ومن جهة ثانية قد أصبحت مملكة الماء التي تشمخ بأمواجها إلى السماء غير ما نعة من توافد الأجانب يجوزونها كما تجاز الأنهار الصغرى ، ليشاهدوا جمال برسيا . في أحد هذه الصناديق الثلاثة رسخها المعشوق ، أيحتمل كونه في صندوق الرصاص ؟ من الإثم هذا

الظن . وذلك الجسم لا يليق أن يوضع ، حتى بعد الوفاة ،
 في مثل هذا المعدن الحقير . أف يكون الرسم إذًا في الفضة ،
 وقيمة الفضة أقل عشرة أضعاف من قيمة الذهب الخالص .
 وهل يعقل أن توضع لؤلؤة غالية هذا الغلاء في شيء أدنى من
 الذهب ؟ توجد في إنجلترا سكة مصور عليها ملك ، ولكن
 الملك على ظاهرها ، أما ههنا فالملك في ضمن مهد من
 الذهب . أعطوني المفتاح قد استخرت الله

برسيا : هذا مفتاحه يا أمير ، فإن كان رسمى فيه فإني جاريته
 الأمير : « بعد فتح صندوق الذهب » — يا للجنة ! ماذا أرى ؟ هيكل ميت !
 وفي عينه الفارغة قرطاس ؟ لنقرأ ما في القرطاس
 قل كائنًا من كنت عن ثقة
 ما كلُّ براق من الذهب
 عظة هي الكثر النفيس فلا
 بدع إذا ثبتت على الحقب
 لو كان رأيك غير مختلط
 في حين شعرك غير مختضب
 ماعدت هذا العود في ندم
 ويمثل هذا الرد لم تُجَبَّ

« بعد قراءة الأشعار يقول متمماً »

لقد أضعت وقى . وداعاً أيها الغرام المحرق ! سلام عليك أيها القلب الذى لا يكثرث ! لقد أثخنت جراحى يا برسيا . ولكن لا أطيل العتاب ، بل أنصرف كما يليق بمن قامر فخسر . « يخرج »

برسيا : لقد نجونا منه والحمد لله . أسدلوا الأستار ، ولا كان اختيار مشاكليه فى اللون إلا كاختياره « تخرجان »

المشهد الثامن

البندقية — جادة

« يدخل سالارينو وسالانيو »

سالارينو: أيها الصنفى " سالانيو رأيت باسانيو مقلعاً ، يصحبه غراتيانو ، وأنا موقن أن لورنزو لم يكن فى سفينتهما
سالانيو : ذلك اليهودى الفاجر أيقظ الدوج بصحبه وصراخه ، فذهب إلى سفينة باسانيو وفتش فيها

سالارينو: جاء بعد أن أفلح المركب ، لكنه سمع أن لورنزو وعشيقته
جسيكا شوهدا معاً في زورق ، ووكد له أنطونيو توكيداً
لايحتمل الريب أنهما لم يكونا في سفينة باسانيو
سالانيو: لم أرقط سخطاً أشدّ التباساً وغبابة وجنوناً من سخط ذلك
اليهودى السافل ، الذى كان يطوف الأسواق منتحياً صائحاً :
بنى . دوقياتى . وابنتا . فرت مع مسيحي . وادنانيرى
المتنصرة ! الإنصاف باسم القانون . دوقياتى . بنى . كيس .
بل كيسان من الدوقيات ، فرادى ومزدوجات اختلستهما
سليلى واحترست بجانبهما مصوغات جمّة وألماسين نادرين
ثمّيتين . ذلك سرقة ابنتى وكل ذلك معها الآن
سالارينو: الأدهى أن صبية البندقية يتعقبونه صائحين : ألماساتى . بنى .
دوقياتى

سالانيو : أخشى أن يتأخر أنطونيو عن الوفاء فى الأجل فيغرم قيمَ هذه
المسروقات كلها

سالارينو: ذكرنى — حين ينفع التذكير — أمراً سمعته أمس من أحد
الفرنسيين وهو أن مركباً من مراكب بلدنا مشحوناً شحناً غالياً
قد ارتطم فى المضيق الذى بين فرنسا وإنجلترا ، فلما طرق
أذننى هذا الخبر فطنت لأنطونيو وتمنيت سرّاً ألا يكون ذلك
الموسوقُ من مراكبه

سالانيو: ماأجدرك أن تبلغ أنطونيو ما سمعته ، ولكن مع المراعاة التي

تلطف موقع الخير من نفسه

سالارينو: ما من رجل في العالمين أصدق وداداً من أنطونيو . حضرت

وداعه لباسانيو وسمعته يقول له : « لا تعجل عودتك كما

تقول ، ولا تهمل شؤونك من أجل ، بل امكث ما دعت

الحال . أما صكّ اليهودي فلا تخطره على بالك ، ولا يشغلك

عن غرامك ، كن فرحاً واقصر همك على إرضاء من تحب

بأجمل ما تستطيع من الأساليب » وبعد ذلك صافحته

بقوة ممتنعاً من النظر إليه ، لأن عينيه كانتا مغروقتين

بالدموع ، ثم تفارقا

سالانيو: أعتقد أنه إنما يعيش لخدمة صديقه . لنذهب إليه فنحاول

بما في وسعنا من الوسائل أن نخفف من تلك الكآبة التي

لا تفارقه

سالانيو: هلم ، هلم

« يخرجان »

المشهد التاسع

بلمنت - مزارة في قصر برسيا

« تدخل نريسا يتبعها خادم »

نريسا : أرجو أن تسرع بإمالة الحجاب فقد حلف أمير أراغون
يمين الموافقة على الشرط وسيحضر عما قليل للتخير « صوت أبواق »
« يدخل أمير أراغون وبرسيا وحشهما »

برسيا : هذه هي الصناديق ، أيها الأمير النابه ، إذا اخترت منها
ما فيه رسمى عقد لك على فوراً ، وإن أخطأته كان عليك
يا مولاي أن تنصرف من هذه الديار دون أن تنبس ببنت
شفة

الأمير : القسم يقتضى ثلاثة شروط : أولها ألا أخبر أحداً بالصندوق
الذى وقع عليه اختيارى ، وثانيها إذا لم أضع يدي على
الصندوق الرابع أن أمتنع من الزواج بتاتا بعد ذلك ، وثالثها
إن لم أوفق لما جئت في التماسه أن أعود أدراجى من ساعى بلا
اعتراض

برسيا : هذه هي الشروط

الأمير : أنا مستعد لها ، فأسعدني أيها البخت ، وحقق آمالي منعماً .
 أماى الذهب والفضة والرصاص ، ماذا يقول الرصاص ؟
 من ابتغاني فأعزز بما يهين لأجلى

شكلك لا يعد بشيء يخاطر عليه . ماذا يقول صندوق
 الذهب ؟ لنقرأ ما هو ذلك الشيء الذى يتمناه الأكثرون :
 لا نزاع فى أنهم يعنون بالأكثرين جمهورَ العامة الذين
 تغرهم الظواهر ، لاكتفائهم بشهادة النظر عن تبطن السرائر
 فهم كالحطاف الذى يبنى أعشاشه فيما برز من أعلى
 الجدران ، فيتعرض بذلك للطوارئ والآفات . لن أختار
 ما يشتهيهِ السواد كراهةً منى لِمَاشاةِ السوقِ ، والاختلاط
 بالطغام الجاهلين ، فإليك الالتفات أيها الكنز النقي . أعد
 علىّ عبارتك المنقوشة :

من انتقانى فإنى أهل له وهوأهلى

ما أحسن هذا المقال ! لا ينبغي لأحد أن يخادع القدر ،
 ويصيبَ من العز أو الجاه أو القدر ما ليس به جديراً .
 جبدا لو كانت الأموال والألقاب والترتب بالكفايات
 لا البراطيل ، إذن لنزعت أعشاب سوء لا تخصى من محصول
 الكرامات الصحيحة ولأخرجت غلالاً قيمات من أكسداس

التبن الذى لا قيمة له . لنرجع إلى شأننا : أحسبني كفوفاً لها .
 أعطوني مفتاح هذا الصندوق فأرى ما فيه « يفتح الصندوق »
 برسيا : الذى وجدته لم يكن حقيقياً بالزمن الذى أضعته فيه .
 الأمير : ماذا أرى ؟ رسم أبله يقدم لى قرطاساً . أى شىء فى هذا
 القرطاس ؟ ما أقل مشكلة هذا الرسم لرسم برسيا ! وما
 أبعد جوابه عما التمسته آمالى ! ألم أكن جديراً ألا برسم أبله ؟
 أهذا كل ثوابى ؟ أولم يُلَقَ لى غيره !
 برسيا : الخصومة والحكومة نقيضان لا يجتمعان فى واحد
 الأمير : لنقرأ ما فى القرطاس :
 من راضيه ألم الخطوب فإننى
 بالنار قد مُحِصَّت سبع مرار
 من عاش لم يأمن على طول المدى
 خطلاً يبادره وسوء خيار
 فى الناس مخدوع يقبل ظله
 فينال ظل سعادة وفخار
 وفقى خلى العقل مثلى بينهم
 فى مظهر متألق غرار
 أنى تكن ما أنت إلا مشبهى
 فاحمل حمولك وانج من ذى الدار

مهما أطل الإقامة هنا بعد ما كان فلا أزداد إلا ظهوراً
بمظهر الحمافة . جثت برأس أبله وأعودُ برأسين . أستودعك
الله أيتها الزهراء . سأبر بقسمى لأحسن تملك نفسي وكظم
غيظي « يخرج الأمير مع حاشيته »

برسيا : كذا احتراق الفراشة بالنور . هؤلاء المجانين الذين جفت
حواسهم لم يبلغوا من المهارة إلا إتقان الخسارة
نريسا : صدق من قال إن المشقة قضاء والزواج نصيب
« يدخل خادم »

الخادم : أين السيدة ؟
برسيا : ها هي ذى . ما تبتغى منها ؟
الخادم : ياسيدتى بالباب رجل من البندقية جاء مبشراً بقدم مولاه
مهدياً إليك مازكاً من التحيات ، وما غلا من الحلى السنيات ،
حتى نحيل إلى أن شهر نيسان ، وهو مزدان بزينات الربيع ،
لا يتقدم الصيف بأجمل وأبارقٍ نهما يتقدم هذا الخادم
الأديب مولاه الآتى فى إثره
برسيا : كفى ، لا تزد ، فقد خشيت أن تضيف إلى هذا الإفراط فى
الثناء أنه من أقربائك . تعالى نريسا ننقع غلة شوقنا برؤية
ذلك الرسول الذى جاءنا بهذه المحامد كلها
نريسا : باسانيو . وفقه أيها الغرام « تخرجان »

الفصل الثالث

المنظر الأول

البندقية — جادة

« سالانيو وسالارينو »

سالانيو: ما أخبار الريلتو ؟

سالارينو: ثبت ما شاع عن غرق مركب لأنطونيو ثمين الأوساق في ذلك المضيق الذى يسمونه على ما أظن جودونس ، وهو مكان بعيد الغور ، دفن فيه مالا يحصى من الجوارى المنشآت ، إن صح ما تزعمه العجائز المنبثات

سالانيو: معاذ الله أن يكون ما سمعته إلا بهتاناً من أسخف قعيذة أكلت فطير البرطمان ، وأوهمت جاراتها أنها تبكى ثالث أزواجها . ولكن النبأ الصحيح الذى يبعث الأسى والأسف هو باختصار القول — منعاً للإسهاب وأخذاً بالمألوف من الكلام — أن أنطونيو النبيل ، أنطونيو التزيه ، أنطونيو الجدير بأشرف النعوت التى نعت بها إنسان . . .

سالارينو : هلم الى الواقع
 سالانيو : ماذا تقول ؟ الواقع . . هو أن أنطونيوفقد مركباً
 سالارينو : عسى أن تقف خسارته عند هذا الحد بإذن الله
 سالانيو : أبادر بالتأمين مخافة أن يعارض الشيطان هذا الدعاء ،
 ولا سيما وها هو ذا الشيطان بنفسه قادم إلينا في زى يهودى

« يدخل شيلوخ »

سالانيو : « متساً » شيلوخ ! ما أخبار التجارة في مصفق الريلتو ؟
 شيلوخ : أنت أعلم من علم بفرار ابنتى
 سالارينو: لا جرم أنها فرت ، وأنا أعرف الخياط الذى صنع لها
 ما طارت به من الأجنحة
 سالانيو : وشيلوخ كان يعلم أيضاً أن للطائر ريشاً ، وأن العصفير متى
 راهقت سنّاً معلومة ، فارقت وكرأبويها

شيلوخ : لتهلك بما خطئت
 سالارينو: لا محالة أنها هالكة إذا كان الشيطان قاضيا
 شيلوخ : يثور بى دى ولحمى
 سالارينو: أف لك من فاسق مزمن ، أفى هذه السن تخطر لك
 الشهوات ؟ !

شيلوخ : أعنى ابنتى ، وهى لحمى ودى

سالارينو: بين بدنك وبدنها من الفرق ما بين السبج والعاج ،
وبين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف النبيذ الأحمر
عن النبيذ الأبيض . لكن أنت مخبرنا : أعلمت أن أنطونيو
أصيب بخسارة في مشحوناته بجرأ

شيلوخ : وهذه مسألة لم تكن لي رابحة . مفلس مسرف لا يجرؤ أن
يتراءى في الريلتو - بائس . . . كان يحىء المصنفق متبخراً
حذار أن يتأخر عن الوفاء في صكه . كان يدعو مرابياً .
إياه أن يغفل ميعاد خطه . كان يقرض النقود إقراض
نصارى على سبيل الإحسان . ليخش أن يبطئ عن أداء
ما عليه في حينه

سالارينو: ما أظنك إن تأخر عن إعطائك المال تتقاضى بضعة من
لحمه . أتفيدك في شيء ؟

شيلوخ : تفيدنى في إعداد طعم للسّمك ! ألا يكتفى أن أستخدمها
في شفاء غليلي ، والانتقام لنفسى . هو الذى جلب على
التحقير والإزراء ، وحال دون اكتسابى نصف مليون فوق
ما اختزنت . سخر من خساراتى ، وهزئ من أرباحى وسب
قوى ، وعارض أعمالى ، ونفر منى أصدقائى ، واهتاج
أعدائى . ولم كل هذا ؟ لأننى يهودى . أليس لليهودى
عينان ؟ أليس لليهودى يدان وأعضاء وجسم وحواس

ومودات وشهوات ؟ أليس غذائه مما يتغذى به النصراني ؟
أليست الآلة التي تجرح أحدهما تجرح الآخر ؟ أليس العلاج
الذي يشفي ذاك يشفي هذا ؟ أليس الشتاء والصيف واحداً
لكليهما ؟ ألسنا إذا وخزتمونا ننزفُ دماً ، وإذا دغدغتمونا
نضحك ، وإذا سقيتمونا السم نموت ، وإذا آذيتونا
ننتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما نشبهكم بكل ما سواه .
أما جزاء اليهودى الذى يضرب بمسيحي أن يثار منه ؟ إذن
فاليهودى وقد اتسبى بأسوة النصراني أن يثار منهم إن أضروا به
سأعاملكم بمثل الشدة التي تعاملونني بها أو أزيد

« يدخل خادم »

الخادم : أيها السيدان ! مولاي أنطونيو يبتغي لقاء كما وهو الآن في
داره

سالارينو: نحن في البحث عنه منذ هنيهة

« يدخل طوبال »

سالانيو : ما أشبهه الليلة بالبارحة ، ومن توخى ثالثاً هذين اليهوديين
الأخوين لم يجده إلا أن يتهود الشيطان

« يخرج سالارينو وسالانيو والخادم »

شيلوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمّة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها

شيلوخ : يا للخسران ! اختلست مني ألماسة بيعت على في فرانكفورت بألني دوق ، الآن قد طفقت اللعنة تحلّ على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل : ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات آخر غالية ، وأيّ غلاء . من لي بابنتي ميتة عند قديمي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ؟ عجباً أما من نبأ عنها — هكذا — ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة : كذا للسارق وكذا للباحث عنه . ثم لا ترضية ولا انتقام ، كل الرزايا تنصب على رأسي وحدي ، فلا زفرة إلا ما تصعبه أنفاسي ولا عبرة إلا ما تصوّبه عيناى طوبال : لست فداً في تعرضك للنوائب ، فقد علمت في جنوا أن أنطونيو

شيلوخ : ما تقول ؟ ويل ويل . . .

طوبال : فقد سفينة من سفنه قادمة من طرابلس

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله ، . أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت نواتية نجوا من الغرق

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت

الأخبار . أين ؟ في جنوا ؟

طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة بجنوا

شيلوخ : تطعني بخنجر في قلبي . لن يعود إلى ذهبي ، ثمانون

دوقياً صبرةً واحدة . ثمانون دوقياً ؟

طوبال : في رجوعى إلى البندقية تسقطت من أقوال بعض الذين يدينون

أنطونيو أنه لا بد له من التفليس

شيلوخ : يافرحاً بما قالوا ! سأعذبه . سأنكل به . . . يا للسرور !

طوبال : أراى أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرود أعجبها

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلنى يا طوبال ! تلك زبرجلتى

التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبتى ، ولو أعطيت بها

فرقة من القردة لما أعطيتها

طوبال : لكنه ثابت أن أنطونيو قد خرب

شيلوخ : نعم . هذا يقين كل اليقين . اذهب يا طوبال ، أوجد

لى سجاناً يجعله تحت تصرفى ، قبل حلول الأجل

بأسبوعين . فإن لم يؤد ما عليه لم يكن لى بد من تمزيق قلبه ،

ومتى خلت منه البندقية ، ففى وسعى أن أفعل فيها ما أشاء •

اذهب . اذهب طوبال . ثم ألحق بى فى الكنيس . بئدار

يا طوبال

« يخرجان »

المنظر الثاني

بلمنت - مزارعة في قصر برسيا - الصناديق مكشوفة

« يدخل باسانيو وبرسيا وأتباعهما وغراثيانو ونريسا »

برسيا : أبتهل إليك ألا تتعجل . تريث يوماً أو يومين قبل الاقتراع ،
فلماذا ساءت خبيرتُك ، لم يفتنا أنسك وعشرتُك . رويدك
رويدك . في قلبي شيء . وهذا الشيء ليس بالغرام - يوحى
إليّ أن فقدك مساءةً لي . على أن مثل هذا الوحي لا يجيء
من البغضاء . ولأزيدك مكاشفة بما في ضميري ، دع أن
الأجدر بالفتاة ألا يكون لها من اللسان إلا فكرها ، أقول
لأنني أتمنى استبقاءك ههنا شهراً أو شهرين قبل المخاطرة
بمستقبلك من أجلي . وقد يجيش بي أن أعلمك كيف تحسن
الخيرة ، لكنني إذن أكون حائرة ، ومعاذ الله أن أكونها أبداً .
إلا أنني لو لم أرشدك وتعذر عليك الفوز بي ، لاشتد أسنى ،
من كوفي لم أحنث . ويحيى ! إن عينيك نظرتاني فقسمتاني
إلى شطرين : شطر لك وشرط لك ! كان ينبغي أن أقول
- لي - في الثانية لكن سبق لساني ، لأنني لك وما بقي لي

فهو إذن لك . يا للقضاء الجائر أقام حاجزاً بين المالك ومملكه
فأنا لك ، ولكننى ربما لا أكون لك . فإذا جرى الحكم على
هذا فلا وقعت التبعة إلا على مصدر الحكم لا على . أفرطت
في الثروة ، ولكن لا لإضاعة الوقت بل لإطالته بتأخير اقتراعك

باسانيو : دعيني أختبر فلانى في أشد العذاب

برسيا : في أشد العذاب يا باسانيو ، فلا بد من خيانة تحت هواك ،
والأولى أن تقرّ بها

باسانيو : لا خيانة ، ولكن خشيةً ففقدى من أهواه ، وقد يكون أيسر
أن تأتلف النار والثلج من أن تأتلف الخيانة وحبى

برسيا : سوى أننى أخشى أن يكون كلامك إكراهياً أشبه بما يجربه
الألم على الألسنة قسراً

باسانيو : عدينى بالحياة أعترف لك بالحقيقة

برسيا : اعترف وعش

باسانيو : كان يجب أن تقولى ؛ أقرر وأحب ، لأن إقرارى لا يزيد
عن معنى هاتين اللفظتين ، ما أعذب ذلك العذاب الذى
يعلمنى مسببه كيف أنجو منه . لكن دعيني أعرف بخفى
بين هذه الصناديق

برسيا : إليها ، وأعانك الله . إنى فى أحدها ، فلن كنت لى

محباً اهتديت إلى - « إلى الابتاع » أى نريسا ، أى هؤلاء جميعاً ، تنحوا قليلاً - لتعزف الموسيقى مدة خيرته ، فإن خسر كانت نهاية هوانا فى النغم ، كنهاية ذلك الطائر العوام الذى لا يجيد فى حياته إلا صوتاً يتغنى به قبيل وفاته . ولإتمام الشبه أجعل عندئذ عيونى الماء الصافى الذى يقضى فيه ذلك الهوى نجبه . أما إذا كسب فكيف يكون النغم إذن ؟ ليكون نفعاً فى الأصوار بعيد الصدى ، كما يكون حين تجنو الرعية المخلصة لدى ملكها المتوج حديثاً ، أو كذلك اللحن الشجى الذى يشدوه السعد فى أذن الخطيب صباح اليوم الذى تتحقق فيه أحلامه ، ويتأهب لعقد القران على عتبة الهيكل . ها هو ذا يتقدم بأقل جلالاً ولكن بأكثر غراماً من الفتى الشجاع « ألسيد » حين أنقذ البتول التى قربتها قبيلة طروادة باكية منتحبة للوحش البحرى . على أننى أشبه بتلك الفتاة المقدمة للتضحية : أجد الذين حوى مستعدين كالطرواديين يتوقعون الختام وأقول : أما ما يا هرقل ، عش فأعيش - أنا شاهدة القتال سوى أننى أشد تأثراً منك يا من يقدم عليه

« تسمع الموسيقى خلال نظر باسانيوفى الصناديق وتشاوه »

صوت ينشد :

أين مكان الهوى ومنبته
في العقل أم في الفؤاد مولده
ومن مباه به الجلال فقد
دال من المالكين أيده

آخر ينشد :

تلك العيون السواهي
للحب من مهود
إن يسقيه اللحظ نارا
قضى ومن اللحود

الجمع ينشد :

ليهتف هتاف الأسى
ويسمع نواح الأسف
يخف صريع المنى
ويودى سريع الشغف

باسانيو: نعم يقرب من الاحتمال أن أبهج غلاف بظاهره يحتوى على أشنع شيء . هكذا تخدعنا زينات الناس في الغالب من الأمر . أتوجد في القضاء دعوى سيئة لا يتولى الدفاع فيها مِنطِيق مقنع يغطي معاييبها بتأثير فصاحته ؟ أيرجد في العقائد خطأ مهلك لا يجهد أحد المتنطسين العابسين أن يحلله بنصوص قاطعة ويخبأ ما به من السم تحت أزهار يزينه بها ؟ هل في المثالب واحدة لا تلبس لدى الإبصار بعض ملابس المحامد ؟ كم من جبان لا تختلف شجاعته عن مدرجة من الرمل ولكنه يغشى ذقنه بمثل لحية هرقل الصنديد أو لحية المريخ العنيد . لو استشفت بواطن هؤلاء الرعايد لوجدت أكبادهم ييضاء كاللبن ، سوى أنهم سرقوا تلك الإمارات المهيبة ليداجوا بالبطش والبأس . انظروا إلى الجحمال تجدوا جواذبه مجلوبة من حانوت التاجر ، ومن غريب ما تحدثه الطبيعة في هذا الباب أن أكثر النساء حمولة من المحاسن المستعارة ، هن اللواتي لا يطول الزمن بزيناتهن ! فإذا رأينا عند بعضهن ذلك الشعر الذهبي الذي تتلوى صفائره تلوى الثعابين ، وتتجارى بين غدائره لواعبُ النسمات لم يكن إلا زخرفاً باطلا ورثه الرأس المتباهى به عن رأس أصبح بالياً في القبور . فالتبرج إذن ليس إلا زينة الشاطئ

٩٧

الذى ينزل منه إلى البحر الزاخر بالأخطار ، أو هو الشف
اللماع ، الذى تحتجب وراءه هجنة هندية . أو هو
ما تروديه الخيلة من مشابهة الحقيقة لتأخذ الحكيم فى أشراكها .
هلدا أنبلك أيها الذهب البراق طعام ميداس ، كما أنى
أنبلك أيتها الفضة فإنما أنت ذلك المعدن الشاحب
والأداة المبتذلة فى التداول . بين الناس .. أما أنت أيها
الرصاص المستمخس الذى لا يغش العيون ، والذى تغري
سلجنته الصامته أشد من إغراء الفصاحة ، فإنك أختار لك
تكون نجبا سعدى ، ومبعث هنائى .

برسيا : أرى كل العوامل قد تبددت فى الهواء من هم مقلق ،
وخوف مؤرق ويأس ليس بإحدى الراحتين ، وغيره مخضرة
العين ، خاشاك أيها الغرام الذى استباح قواها ، واستبي .
حماها ، فبحقك إلا ما ترفقت بي ؟ وتلطفت لى ، وخففت
من غلوائك ، وهدأت من سورة سرائك ، فقد خشيت أن
ينوء بحملك قلبى ، ويقضى بفضلك نحي

باسانيو : « فاتحاً صندوق الرصاص » - ماذا أرى ؟ أرسم برسيا ؟
أى ملك تنزل من سمائه فتجلى فى هذه الصورة الإنسية ؟
يا عجباً لهاتين الخلفتين ؟ أهما تتحركان أم أنا وأهم ؟
يا عجباً لهذا الثغر ! لم تكذ شفتاه الرقيقتان تفرقان على
تاجر البندقية

ما بينهما من الهوى إلا لتأذنا أَرَجَ الأنفاس بتعطير الهواء .
يا عجباً لذلك الشعر ! كأن أمهر الرسامين عندما نظمه
قد حالك من خيوطه الذهبية حباله تؤخذ بها القلوب ، كما
تؤخذ دقاق الهوام بنسج العنكبوت . ولكن البدع كل البدع
في العينين ، كيف استطاع ذلك المصور أن يحدق
فيهما ليحسن تمثيلهما ؟ أما الكمال فانظروه في الأصل لاني
النقل . وما أبعد ربة الجمال عن أن يضارعهما الخيال . فلا تمتع
الآن طرفي بما كتبه الحظ في هذا القرطاس من آيات
سعدى : « يقرأ »

يا من رأى باطلاً فر به
ولم يزغ في طلائه نظره
يهنئك العقل لم يصل به
مغويه والسعد رابحاً خطره
لئن تكن قد حظيت بعد جوى
كما يصيب الجزاء منتظره
قبل محيا العروس مغتبطاً
فالعمر قد طاب والمنى ثمره

حبذا هذه الأقوال الشائقة . إذنًا أيتها السيدة « يقبلها »
 أتيت وهذه الورقة في يدي - لأقبل وأتقبل مشبهًا بذلك
 صاحب الفوز في الصراع المشهود . فهو إذا سمع تصفيق
 المتعجبين ، وتهليل المعجبين ، جمده مكانه ونظر حواليه
 مرتابًا فيما إذا كان ذلك التمداح موجهًا إليه . وما موقفي هذا
 إلا كموقفه ذاك ، أكاد أرتاب فيما أرى وأرقب لتصديق
 ما جرى أن تجيبني إلى ما قدمت وثبتني وتحقق ما اغتنمت
 برسيا : أيها الهمام باسانيو ها أنا ذى لديك كما أنا ، ولولا
 أمر جدّته في نفسي لاجتزأت بالنعم التي منحتها ولم
 أستزد . لكنني غدت متمنية من أجلك لو رجعتُ ستين
 مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ،
 وعشرة آلاف مرة أوسع جاهًا . فتكبر حظوقي في عينيك ،
 ولو كان لي من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب عدادٌ
 لا تنفذ . إلا أنني ولا فخر غير خالية من شيء يقدر بقدر
 فإنما أمامك فتاة محصر نقيّة غرة ، تعتد من لطف
 العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم . ومن سعد
 طالعها أنها ليست من الجاهل بحيث تستعصى على التعليم ،
 ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زمامها عن
 رضى بين يديك ، والإقرار عن خضوع بأهلك سيدها ،

وأمرها. ، ومليكيها .. فأنا وكل ما لي قد أصبحنا لك اليوم :
كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة خدى
وحشى ، وكان بييدى قياد نفسى . أما الآن فالدار
والتبع والمتبوعة فى تصرف بنالك يا ولى . أمرى . وهبتك أولئك
جميعاً . وأزيدك هذا الخاتم الذى أوصيك بحفظه ، وبأن
تحرص كل الحرص من إضاعته ، أو فقدته ، أو مفارقتها ،
فإن ذلك لينذرني بتحول قلبك عني ، ويخولني حق الشكاية
منك

باسانيو : لقد أعجزتني يا سيدتى عن التفوه بلفظة واحدة ، فما في
من متكلم إلا دى الذى يحيش فى عروقى ، وأشعر
باضطراب فى أفكارى أشبه بغوغاء الجمهور إذا ألقى عليهم
أمير كريم ، كلمات محبته ، فاختلطت عواطفهم فى
إحساس واحد اجتمعت عليه كل تلك النفوس : إحساس
الفرح بين صامت ، أو صائت ، فاعلمى أن حياى
تفارقنى قبل أن يفارق هذا الخاتم أصبعى ، وإذ ذاك لك أن
تقولى : « مات باسانيو »

نريسا : إن سعد كما هذا لسعد طالما تمنيناه ، فأجيزا لنا يا سيدتى رفع
تهنئتنا إليكما ؛ ضفءاً وهناءً

غراتيانو : يا سيدى باسانيو ويا سيدتى ! أدعو لكما بما تشتهيان

من صنوف النعم ، واثقاً من أن آمالكما لن تهادى
إلى الإضرار بتحقيق أمانى ، وعلى هذا أستاذكم
بأن يكون عقد قرانى فى نفس اليوم الذى ستعيانه
لعقد قرانكما

باسانيو : إذا وجدت الحليمة فلما لناذن بارتياح
غراتيانو : لقد ظفرت ، ولك الشكر يا سيدى ، بالتى أرغب
فيها ، فإن عيني لا تفلان فراسة عن عينك ، وقد لمحت
التابعة ، كلمحك المتبوعة ، فأحببت كما أحبيت
وشبيت كما شبيت ، وكما كان حظك منوطاً بهذه الصناديق
كان حظى منوطاً بنجاحك ، إذ أننى بعد نجشنى عرق
القربة لاستمالة هذه الغانية ، وإبحاحى صوتى فى الإقسام لها
على صدق غراى لم أفر منها إلا بوعده : وهو أنها تقرن بى إذا
أنت وفقت للاقتران بمولاتها

بريسيا : أكذا جبرى يا نريسا ؟
نريسا : نعم يا سيدتى ، إن كان فيه رضاك
باسانيو : أجد ما تقول يا غراتيانو ؟
غراتيانو : جد فى النهاية يا سنيور
باسانيو : نعد من مسمات فرحنا أن يقام عرسنا وعرسكما فى آن
غراتيانو : « لنريسا » — لتراهن بعشرة آلاف دوق على من من

فريقنا يبحى بأول ولد . أسمع قدوم أناس . . . هذا لورنزو
وكافرتة ، وهذا صديقي القديم سالريو البندق
« يدخل لورنزو وجيكا وسالريو » .

باسانيو : لورنزو وسالريو ! مرحباً بكما ، إن كان يسوغ لي على
حادثة عهدي هنا أن أحتق بمواطني وأصدقائي . أتأذنين لي
يا برسيا الجميلة أن أرحب بهم ؟
برسيا : لقد لقوا أهلاً ، ونزلوا سهلاً

لورنزو : حمداً لك يا مولاتي . أما أنا يا سيدى فلم يكن مقصدي
هذا القصر ، لكنني صادفت سالريو في الطريق ،
فلجحت حتى أوجب مجيئي معه

سالريو : هنا ما حدث يا سيدى ، وكان لذلك عندى سبب .
إليك كتاباً من السنيور أنطونيو . حملنى إياه وأوصانى أن
أذكره لديك « يعطيه الكتاب »

باسانيو : « قبل فسر الكتاب » كيف صديقي الأعز ؟ !

سالريو : ليس بمريض ولا بعمافى ، إلا أن تكون الصحة أو العلة في
الروح لا في الجسم ، ولكنك ستعلم من رسالته حقيقة حالته
غراتيانو : « مشيراً إلى جيكا » نريسا ، أكرمى وفادة هذه الأجنبية
واحتنى بها . يدك يا سالريو . أى جديد في البندقية ؟

١٠٣

كيف أنطونيو أمير التجار وكيف أعماله ؟ أنا موقن
أنه سيفرح لأفراحنا . نحن من آل جازون قد غنمنا
الجزأة الذهبية

سالريو : ليتكم كسبتم ما خسر

برسيا : لابد أن تكون في هذا الكتاب أنباء رائعات ، فقد امتنع
وجه باسانيو ، وما يغير وجه الرجل الكريم مثل هذا التغيير
السريع إلا أن يفقد صديقاً من أصفي أصفياه تهون في جنب
رزه فوادحُ الأرزاء . عجباً ! أرى ازدياداً في أسفه— إيلدن
يا باسانيو : إني شطر منك الآن ، وأطلب بقوة حصتي
من مضمون هذه الرسالة كائنًا ما كان

باسانيو : يا حبيبتي برسيا ! لم تسود الصحف في يوم من الأيام
بمثل ما سودت به هذه الصحيفة من السطور المشؤومة .
عندما فانتحتك بغرامى لأول عهدنا ، أقررت لك بأن ما بقى
من ثروتي لم يكن إلا الدم الجارى في عروقي : دم ماجد
شريف . على أننى أيتها الصفية الرقيقة ، مع صدق إبلاغك
أننى لم أكن شيئاً مذكوراً ، قد غاليت فقومت نفسى ، بما
يفرق قيمتها كثيراً ، وكان الأجدر بى أن أصارحك بأننى
أقل من لا شيء : ذلك لأننى استخدمت ضمان صديق
عزيز للحصول على مال أقضى به حاجاتى ، فعرضته

بنلك لألد أعدائه وأشد مبغضيه . هذا كتاب ياسيدنى
 درّجه جسم صاحبي ، وكل كلمة فى الدرّج جرح تخين
 فى الجسم يتدفق منه الدم وتندفع فى أثره الحياة . ولكن أحق
 ياسالريو أن كل تلك المواسق نكبت ؟ عجباً ! ألم ينبج
 واحد منها ؟ أو لم تبصل سفينة فلة من تلك السفائن العائدة
 من « طرابلس » أو « المكسيك » أو « إنجلترا » أو « لشبونة »
 أو « الهند » بلا استثناء ؟ أكلها أبادته الصمخور ، وألقت به
 فى أعماق البحور ؟

سالريو : . أكلها باد بلا استثناء . وبما يزيد الشجن أن اليهودى ،
 فيما ظهر منه وتحقق ، يأبى المال لوردّ إليه الآن . ذاك
 مخلوق ، على كونه فى شكل إنسان ، ما رأيت فى غابر
 أياي أشدّ منه تكالباً للتكيل بخصمه ، فهو من الصباح
 إلى المساء لاحق بالدوج ملحّ أو ملحف يتقاضى شرطه
 مجاهرياً لايبقى للعدل فى الحكومة معنى . إذ لم يعن على استيفاء
 حقه ، وقد خاطبه عشرون من التجار كما خاطبه الدوج نفسه ،
 والملاّ الأكرمون من الأعيان ليعتدل فى أربه ، ويعدل عن
 طلبه فأبى مصرّاً ، ولم يتمكنوا من تبليين قلبه الخافى الملىء
 بالضغن .

جسيكا : عندما كنت معه سمعته بحضرة طوبال يهيمس لمشايهيه فى

١٠٩

الدين يقول : إنه يؤثر البضعة من لحم أنطونيوس على عشرين
ضعفاً للقدر الذي أقرضه إياه ، وأنا متحقة من أن أنطونيوس
المسكين إذا لم يؤازره القبايون أو أولياء الحل والعقد لم يفلت من
مخالب الخطر .

برسيا : أذلك الرجل الواقع في هذه الأزمة الشديدة حبيب إليك ،
عزيز عليك

باسانيو : هو أصنى إخوانى وأوفى أصدقاءى ، هو فى الرجال الأشهم
المعجدين ، الأكرام الأعداء ، هو الإنسان الذى تراءى فيه
الروح الرومانية أصنى ما كانت ، وأنى ما هى كائنة فى
نفس إنسان من بنى إيطاليا

برسيا : ما الذى عليه لليهودى ؟

باسانيو : عليه له ثلاثة آلاف دوق أخذتها أنا

برسيا : أهذا كل المقدار ؟ اردد إليه ستة آلاف ، وليمزق
ذلك الخط . ضاعف له هذا الزهاء ، أو أعطه ثلاثة أمثاله
حرصاً على شعرة من رأس صديق كهذا أن تضيع لأجل
باسانيو . اصحبنى بعد هنيهة إلى الكنيسة لتدخلنى عروساً لك .
ثم اذهب من فورك إلى البندقية لإسعاف صاحبك ، إذ أن
برسيا لا ترضى لإقامتك بجانبها ونفسك قلقة ، وأما مبلغ
من الذهب وجب لإبقاء ذلك الدين الصغير ، حتى

لو أربى على أصله عشرين ضعفاً ، حمل إليك بلا إبطاء
 فإذا قضيت هذا الحق عدت بصاحبك لنا تنس به ،
 وفي خلال هذه المدة سأعيش أنا ونريسا عيشة بتولين وأيسمين .
 هلم بنا ، وإذا كان قد تحم عليك هذا السفر في يوم عرسك
 فلا يصددك ذلك عن المشاشة لإخوانك ، ولا يروا منك إلا
 وجهاً ضحوكاً . سأغلى قدرك بنسبة ما قد أغليت مهرك ،
 ولكن فإني أن تسمعنا شيئاً مما كتبه صاحبك

: « قارياً » : « صديقي باسانيو . ارتطمت جميع مراكمي ،
 وأصبح الدائنون لي بلا شفقة . شؤون تجارتي في درك
 الانحطاط ، ولم يتسن لي افتكاك نفسي من حق اليهودي في
 الأجل المضروب ولما كنت لا أستطيع التحرر مما عليّ إلا أن
 أفتدى الدين بحياتي ، عولت على ذلك مبرئاً ذمتك من كل
 ما تسلفته مني ، راجياً أن أراك قبل وفاتي ، وما أكلفك الهوى »
 إلا تبعاً للتيسير ، وعلى أن يكون باعته وحى الصداقة إليك
 لا تثقيل هذا الكتاب عليك »

برسيا : أي حبيبي ! تجهز عاجلاً ، وسر
 باسانيو : أما وقد أذنتني بالسفر فإني لمبادر ، ولن آوى إلى مضجع أو
 ألتمس شيئاً من الراحة فيعوقني أدنى عرق عن سرعة الرجوع
 « يخرجون جميعاً إلا برسيا ونريسا وبلتزار »

المشهد الثالث

البندقية - جادة

« يدخل شيلوخ ، سالنيو ، أنطونيو ، سجان »

شيلوخ : سجان ، احرص عليه . لا تلمس منى رحمة - هذا هو الأبله الذى كان يقترض النقود احتساباً . سجان ، إياك أن يفلت

أنطونيو : تفضل بالصغو إلى أيها السميع شيلوخ
شيلوخ : أتقاضى حقى ولا أريد أن أسمع كلاماً فى هذا المعنى أقسمت إلا ما تنجزت حقى . لقد كنت تدعوى كلباً بلا ذنب منى ، فإن كنت الكلب الذى تصفه فاصبر لنكز أنيابى . سينصفنى الدوج . من العجب أيها السجان البليد أنك تلين له هذه الليونة ، وتخرجه من معتقله لإجابة الملتمة
أنطونيو : أتوسل إليك أن ترعبنى سمعك

شيلوخ : أطلب حقى ولا أرفعك سمعى ، حسبك ضراعة لا تفيد :
لست من أولئك الأغبياء الذين إذا استعطفوا هزوا رؤوسهم ، ونفسوا كربهم بتصعيد أنفاسهم ، ثم أجابوا النصارى إلى

رغائبهم . دع متابعتي . لن أستمع لك إنما أتقاضى حتى « يخرج »
 سالانيو : لم يرزأ الناس ومعاملاتهم بأظلم من هذا الضارى
 أنطونيو : عدّ عنه . حسبي لحاقاً به وتضرعاً إليه بغر جدوى .
 يبغي حياقي وأعرف السبب في ذلك : فهو ينتقم لإنقاذى من
 محالبه غير واحد من المقرضين الذين استعانوا بى عله ، وهذا
 سرّ بغضائه

سالانيو : يقينى أن اللوج لا يأذن بإنفاذ تعهد كهذا
 أنطونيو : لا يستطيع اللوج منع القانون من الجرى مجراه ، فإذا
 أرايت الحكومة في تأويله أساء الأجانب ظنهم بعلمها ،
 وخشوا على الامتيازات المخولة لهم ، فكان في ذلك خطر على
 مدينة كالبندقية قوام ثروتها تجارتها مع الأمم الأخرى .
 لننصرف . إن أحزاني ومصائبى قد شفتنى حتى لا أعلم إن
 كانت قد أثبت لليهودى القدر الذى سيتقاضاه غداً من
 لحمي . سري أيها السجن . سري . عسى الله أن يرسل
 إلى ياسانيو قاراه ، ويرافى وافياً دينه ، فأموث عندئذ راضياً
 « يخرجان »

المشهد الرابع

بلمنت - مزارعة في قصر برسيا

« تدخل برسيا ونريسا ولورنزو وجيبिका، ويلتزار »

لورنزو : أجزؤ أن أقول بحضورك إن رأيك في الصداقة الخالصة رأي صادق شريف ، وإنك قد أيدته بتحملك فراق زوجك في مثل هذا اليوم ، ولكنك لو عرفت من الرجل الذي تسدينه هذا المعروف ، وما شرفه ، وما مودته لقريبك ، لكنت أشد افتخاراً بهذه المنة منك بأية منة أوليتها من قبل

برسيا : لم أنعم مرة على الإحسان . فما أبعدني الآن عن النعم ، ولا سيما أن الصاحبين إذا طال تعاشرهما ، واختلاطهما تألف قلوبهما وتوالت نفساها بعري الصداقة ، فلا بد من تشابه بينهما في الخلق ، أو الخلق ، ومن ثم اعتقدت أن أنطونيو هذا لا بد أن يكون على شاكله زوجي ، بسبب ما بينهما من متين العلاقة ، فاشتمن الذي اشترت به من القسوة الجهنمية ذلك الصديق الخلق على مثال زوجي لا يكون إلا بخساً لكن أرائي استدرجت إلى ما يشبه التمدج ، فلتتحول عن

هذا المعرض إلى معرض آخِر . يالورنزو أرغب إليك في
تولي إدارة بيتي إلى أن يعودَ بعلي ، أما أنا فقد نلذرتُ لله
سراً أن أعيش في النسك ، والدعاء . والاعتزال ، إلا عن
نريسا إلى أن يرجع بعلانا ، وسنقيم في دير قريب لا يبعد
إلا ميلين عن هذا المكان ، فرجائي ألا تمتنع من إجابة هذا
الطلب على ما تقتضيه المودةُ وأسباب غيرها أيّدات

لورنزو : أوافق على ما تريدونه يا سيدتي بكل قلبي وما أطوعني
لأمرك في كل أمر مشروع

برسيا : سأمّر أتباعي أن يكونوا منذ الساعة رهن إشارتك كأنك
باسانيو ، ورهن إشارة جسيكا كأنها أنا . أستودعكما الله
في صحة ونعمة إلى أن نلتقي

لورنزو : منحك الله صفاء البال وصفاء الوقت

جسيكا : أرجو لك ياسيدتي قرّة العين ومسرة الفؤاد

برسيا : أدعو لكما بمثل ما دعوتما لي . أراك بخير يا جسيكا

« نخرج جسيكا ولورنزو »

برسيا : « متعة » : إليك خطابي الآن يابلنزار ، أودلو وجدتك
اليوم على ما عهدته فيك من الوفاء والمضاء في الامتثال .
فاحمل رسالتى هذه بأسرع ما استطاع إلى مدينة بادوا ،

إلى ابن عمى الدكتور بلاريو ، فإذا أسلمته إياها يبدأ بيد ،
فتسلم منه الأوراق والملابس التى يعطيها ، وجرى بها كليمح
الطرف إلى مرسى السفينة التى تجول عادةً بين القارة
والبنديقية . لا تضع وقتاً فى الكلام ، بل سافر وسأسبق إلى
الموعد

بليتزار : سيدنى سأبادر جهد المبادرة « يخرج »
برسيا : تقدمى نريسا ، أنا عازمة على أمور ما زلت تجهلينها فاعلمى
أنا سنلقى زوجينا قبل الوقت الذى يظنان
نريسا : وهل يبصرانا ؟

برسيا : بلا ريب يانريسا ، ولكن فى زى يومم أننا غير منقصتين
ما نقصته أجسام النساء : بمعنى أننا متى لبسنا لبس
الفارسين الشارحين راهتلك على ما تشائين ، إننى سأقلد
خنجرى بلباقة لا يستطيعها الرجل ، وسترين كيف أرقق
حيثل صوفى فأجعله ناعماً كصوت الغلام المراهق ، وكيف
أحول هذه المشية الحمية إلى مشية الذكر المتباهى ، وكيف
أتكلم عن مشاجراتى تكلم يافع جميل فخور ، وكيف أستدر
الأكاذيب من حاضر الذهن فأحسن قصصها ذاكرةً العقائل
العفيمات اللائى افتتن بحبى ، والخرائد المصونات اللائى
مرضن أو متن من جفائى إذ لم يكن فى وسعى أن أكفهن

« مبدئياً أسنى على اللواتى قضين نحبهن من أجلى ،
فى تفصيل أمثال هذه الغرائب ، والعجائب حتى
الرجال الذين يستمعون منى تلك الأقوال أننى لم أفارق
المدرسة إلا لعام أو بعض عام خلا »

نريسا : على هذا سنقضى حيناً فى مخالطة الرجال
برسيا : أف منك . وبش السؤال : لو كان هنا أجنبى لأساء
الظن بظاهرة نيتنا . هلمى بنا إلى الكنيسة لإتمام العقد ، ثم
أشرح لك مقصدى فى الطريق ، وإن أماننا لمسيرة عشرين
ميلاً . البدار ، البدار « تخرجان »

المشهد الخامس

المكان عينه — حديقة

« يدخل لنسلو وجسيكا »

لنسلو : نعم ، والحق ما أقول : ذلك أن خطايا الوالد تقع على
الولد ، ولهذا أخبرك عن يقين أننى أخاف عليك جداً
الخوف . وقد جرت عادتى أن أصارحك بفكرى . كل فكرى ،
فأنت على علم لا ريب فيه أنك هالكة النفس ، وليس بياق

لك سوى رجاء غير جدير بالذكر ، رجاء لقيط

جسيكا : وأى رجاء هو؟ أنفصح عنه ولك الفضل ؟

لنسلو : هو : أن تأمل أنك لست من صلب أبيك ، أى أنك لست ابنة اليهودى

جسيكا : عندئذ يكون رجائى لقيطاً كما ذكرت ، وإذن تعلق بى تبعات خطايا والدتى

لنسلو : أنا — وما أحدثك ، إلا بالصدق — أخشى أن تكرنى هالكة من جهة الأب ومن جهة الأم معاً ، فإذا أردت لك النجاة من ناحية الصخر : أبيك ، وقعت بك فى ناحية الهوة : أمك . فأنت بتمام الراحة . . . هالكة من هنا ومن هناك

جسيكا : ولكن يخلصنى زوجى الذى جعلنى نصرانية

لنسلو : إنه بلدير بالوم المضاعف على فعله هذا ! لقد كنا نحن النصارى أكثر عدداً مما تقتضى الحال ، وكنا بحيث لا يكاد الواحد منا يكفى أخاه . فهذا التهاوت على الاستكثار من المسيحيين سيغلى أثمان الخنازير . وإذا أصبح الناس جميعاً أكلة خنازير فلسوف يأتى وقت لا يتسنى لأحد فيه أن يحصل على كرونا

« يدخل لورنزو »

جسيكا : لنسلو سَابُوح لزوجى بكل ماقلت لى . ذكرته وها هو ذا
لورنزو : أتعرف يالنسلو أننى قد قاربت أن أغار منك لفرط ما تتوالى
محادثاتك لامرأتى على انفراد

جسيكا : كن آمناً من هذا القبيل يا لورنزو ، إن لنسلو لخصيمى
اليوم ، فقد قال لى بلا مجاملة أن لا رحمة لى فى السماء لأننى
ابنة يهودى ، ويزعم أيضاً أنك سىء الوطنية لأنك بتحويلك
يهوداً إلى نصارى تغلى ثمن الخنازير

لورنزو : سيكون أسهل على أن أبرأ من هذا اللذب لدى مواطنى مما
يسهل عليك أن تبرأ من أحبالك جارية سوداء

لنسلو : يحتمل أن لا تكون البخارية السوداء على الحالة التى ينبغى
أن تكون عليها ، ولكنها إذا كانت قد نقصت شيئاً عما
يجب أن تكون المرأة العفيفة فقد زادت شيئاً على ما كان
عهدى بها

لورنزو : ما أيسر لعبَ الحق بالالفاظ ! أظن أنه لا يمضى
زمن حتى يصير السكوت هو العقل ، والكلام هو ما يليق
بالبيغاوات . اذهب أيها الهزأة وقل لحشمتنا أن يتأهبوا للعشاء
لنسلو : المائدة ستهياً والأطعمة ستوضع ، وأما أن تذهب لتناول الطعام
فهذه مسألة أدع لك حلها كما ترى

١١٥

لورنزو : ما أعجب هذا الإدراك ، وما أغرب تصنيف هذه العبارات
بهذه البراعة ! هذا الأبله قد جمع في ذهنه جيشاً من النكات
وأعرف غير واحد من عليّة أهل المناصب محشون مثل
هذا الحشو وينطقون شمالاً ويميناً بمثل هذه المهاترات :
دعينا من هذا يا جسيكا وقولي : كيف أنت يا حبيبتي ؟
وما رأيك في قرينة باسانيو ؟

جسيكا : فوق ما تصف الكلم . على السنيور باسانيو ذمة أن يسير
أحسن سير الرجال ، لأنه بمحبوبه دلي مثل هذه المرأة قد
وجد في الأرض نعيم السماء ، وإذا لم يعرف قدر سعادته في
الدنيا ، لم يجدر بأن يفوز بسعادة الأخرى ، وأيم الحق ،
لأنه لو تراهن إلهان دلي خطر علوى ، وجعلا الرهان امرأتين
إحداهما برسيا لوجب أن يزداد في الخطر على الأخرى شيء
كثير ، ذلك بأنه ليس في الإمكان أن تلقى امرأة كبرسيا في
هذه الأكوان

لورنزو : هي في الزوجات ما أنا في الأزواج

جسيكا : هلا سألتني رأيي في هذا الشبه ؟

لورنزو : هذا ما سأفعله فيها بعد ، فلنبداً بتناول العشاء

جسيكا : لا ، ودعني أمتدحك حين النفس طالبة

: بل دعى هـلـا بغير أمر نجعله حديث المائدة . ومهما تقولى
عندئذ أهتمضمه مع سواه
: حباً وكرامة ، وسأتولى الثناء عليك
« يـفـرجـان »

الفصل الرابع

المشهد الأول

للبنديقية — دار عدل

« يدخل الدوج والأعيان وأنطونيو وباسانيو وغراتيانو وسالارينو وسلانيو وآخرون »

الدوج : هل أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : ها أنا ذا رهين بأمر سموكم

الدوج : إني مكتئب لما نابك ، وإن خصمك رجل فاقد الإنسانية

عادم الرحمة شديد المراس ميت الإحساس

أنطونيو : نمتي إلى أنكم بدلتكم كل مجوود لاستعطافه . فما ازداد

إلا جفوة . ولما كان مستمراً في عناده ، وكان القانون

لا ينجيني ، وتنهأت بجلد لما ترميني به نفسه الخبيثة من الرزايا

الدوج : ليدع اليهودي ويمثل لدى المحكمة

سالانيو : هو بالباب ياسيدي ، هو آت « يدخل شيلوخ »

الدوج : افسحوا له فتراه ويرانا مواجهة . شيلوخ ، يظن غير

واحد - وأنا من أصحاب هذا الظن - أنك مصر على ما توحيه إليك البغضاء حتى الدقيقة الأخيرة ، فإذا حلت هذه الدقيقة راجعت حلمك ، ورجعت إلى وحى الشفقة بما لا يدل عليه هذا التظاهر منك بالقسوة المتناهية ، ويزيد أصحاب هذا الظن على ما قدمته أنك ستعدل عن النهج الذى نهجته إلى الآن من تقاضى بضعة اللحم من جسم هذا التاجر المنكود الطالع إلى ما هو أعرق فى الإنسانية ، وأبلغ فى الساحة ، فترك له نصف المقدار الأصلى من الدين ناظراً بعين الرحمة إلى ما منى به حديثاً من الحسائر ، التى لو منى بها أعظم التجار ميسرة لأعسر ، وهو الخطب الذى تلين له النفوس المتصلبة كالنحاس ، وترق من جرائه القلوب المتحجرة كالرخام ، بل الرزء الذى يرثى له جفأة الترك ، وييكى منه قساة التتار ، أعداء كل رفق وأضداد كل كياسة . إنا نرقب إجابتك أيها اليهودى ، وعسى أن تكون موافقة

شيلوخ : لقد كاشفت سموكم بمقاصدى ، وأقسمت بالسبت . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إلا ما تنجزت منطوق الصلح بالحرف ، فإذا أبيتم على ذلك فلتقع تبعة هذا الإباء على أنظمة حكومتكم ، وامتيازات مدينتكم . تسألوننى علام أوثر بضعة من اللحم الخبيث على استئداء

ثلاثة آلاف دوق . فجوابى : أنه لو قدر كون هذا الطالب
إحدى بدوات عقلى لكفى ذلك فى إيجابه ، فقد يكون فى
بيتى جرد ثقيل أطيب للتخلص منه عن ثلاثة آلاف دوق .
أفتبغون منى أسباباً أخر ؟ . . . من الناس من لا يطبق رؤية
خينووص واسع الشدقين ، ومنهم من يرتعد لرؤية سنور ، ومنهم
من إذا سمع غنة المزمار لم يستطع حقن بوله ، ذلك لأن
شعورنا هو ذو السلطان المطلق على موداتنا وعلى موجداتنا ،
وفى يده أزمنة ما نحب ، وما لا نحب ، فإن أردتم بعد هذا
جوابى فإليكم جوابى : كما أن الإنسان لا يستطيع بياناً لما
بغض إليه الخينووص المثائب وأخافه من السنور الذى
لا يؤذى ، ونفقه من صوت المزمار ، ودفعه بقوة خفية لامرد
لها إلى التكره من رؤية مالا يسره ، ولو عرضه ذلك ليكون
بغضباً على الآخرين ، كذلك أنا . وحسبى داعياً للتشدد فى
مقاضاة أنطونيو وإيثار احتزاز لحمه ، على استعدادى نقودى
منه ، فأصل الحقده عليه فى دى ، وتمكن الضغن له من
فؤادى . أيرضىكم هذا ؟

باسانيو : يا للرجل الذى ليست له أحشاء ! ما هذا بالعدو الذى
يعتدرك به عن مثل هذه الخطة

شيلوخ : ليس من الضرورى أن يعجبك اعتذارى

باسانيو : أكل إنسان يقتل من لا يجب ؟
 شيلوخ : يوجد إنسان لا يجب قتل من يبغض ؟
 باسانيو : ما كل إهانة تتولد منها البغضاء حتماً ؟
 شيلوخ : أتريد أن ينكرك الشعبان مرتين ؟
 أنطونيو : تذكر - رعاك الله - أنك إنما تحاور اليهودي ، وأنه أيسر لك من إقناعه أن تقف على الشاطئ وتأمر البحر بالجزر في غير أوانه فيزدجر ، أو أن تسأل اللئيب لماذا يستبكي النعجة التي افترس صغيرها وتركها تنغوراءه ، أو أن تحظر على صنوبر الجبل تحريك أغصانه الوريقة الشائبة ، أو الجهر بحفيف أعواده حين تصدمه الرياح ، أو أن تعمل أشق ما يرام عمله ، من أن تتوصل إلى تليين أفسى شيء في الدنيا وهو قلب اليهودي - فقدك - توسلا ، وحسبك جهداً ، وليصدر على الحكم وشيكاً ، ولتكمل مشيئة اليهودي

باسانيو : هذه ستة آلاف درق بدلاً من ثلاثة الآلاف
 شيلوخ : لو قسم كل من هذه الدوقيات إلى ستة أقسام وصار كل قسم دوقياً لما رضيت بها عوضاً ولا ابتغيت إلا إنفاذ الشرط
 اللوج : أية رحمة يجوز لك أن ترجوها وأنت لا ترحم ؟
 شيلوخ : ماذا أخشى وأنا لم أصنع شراً ؟ للأكثرين منكم أرقاء

شريتموهم بالأموال ، وتستخدمونهم استخدامكم لحميركم ،
وكلا بكم ، وبغالكم في أعمال حقيرة ، سافلة ، بعدر أنهم
مما ملكت أيمانكم بالشراء . فلو قلت لكم : أعتقوهم وزوجوهم
من بنيكم أو بناتكم ، علام هم موقرون بالأحمال ؟ لتكن
أفرشتهم وثيرة كأفرشتكم ، ولتكن أطعمتهم شهية كأطعمتكم -
لأجبتهموني : هؤلاء الأرقاء ، هم ملكنا . وهذا عين ما أجيبكم
به ، فإن بضعة اللحم التي أطلبها من هذا الرجل ، قد
ابتعتها بثمن غال ، وهي لي ، وإياها أقتضى ، فإن
أبيتموها على لم تجدرو قوانيكم بعد ذلك إلا بالازدراء ،
ولم ترج طاعة بعد لأوامر البندقية ونواهيها . إني لأرغب
حكمكم ، وتكلموا ، أظفر بذلك الحكم ؟

الدوج : سأمر - وعلى العهدة - بإرجاء الدعوى ، إلا إذا وفد اليوم
العلامة بلالاريو الذي بعثنا في طلبه لنسمع منه الرأي الفصل
في هذه المعضلة

سالارينو: مولاي ، بالبواب رسول من بادوا يحمل ألوكا من ذلك الأستاذ

الدوج : أدخلوا الرسول ، وجيثوني بالرسالة

باسانيو : تجلد يا أنطونيو يا صديقي الحميم ، ليأخذن اليهودى دى
وعظاى وكل شىء منى قبل أن تراق قطرة من دمك لأجلى
تاجر البندقية

نعجة جرباء ، ولا بد من موتى لنجاة السرح .
إلى السقوط ضعافها فلأسقط . وأنت فاسلم
بالبقاء . لا أسألك إلا أن تكتب كلمة ترحم على

هبرى

« تدخل نريسا في زى كاتب محام »

: أقادم من بادوا . من قبل الأستاذ بللاريو ؟

يسا : نعم ياسيدي ، وهو يقرئ سموكم السلام

باسانيو : « مخاطباً شيلوخ الذى يشهد سكينه على أديم حدائه » — لماذا تشهد
مديتك بهذا النشاط ؟

شيلوخ : لانتزاع لبرة من لحم هذا المفلس

غراتيانو : إنما تشحذها على الحجر الذى بين جنبيك ، لا على أديم
نعلك ، أيها اليهودى الغليظ الكبد ، وأى حديد لو كان
سيف الجلال يعادل منك هذا الثقل والبضاء فى الحق
والبغضاء . ألا تستمع لضراعة ؟

شيلوخ : لا أستمع ، وخصوصاً لضراعة من مثل ما يوحيه إليك فكرك
الثاقب

غراتيانو : ويك ! اذهب لعيناً أيها الكلب الجهنمى العقور ! ولتكن
حياتك شكاية من العدل . تكاد تززع إيماني ، وتدخل

١٢٣

على عقيدتي قول فيثاغور إن نفوس البهائم تنتقل إلى جسام
الناس فإن روحك ، ولا ريب ، كانت في ذئب
أماؤه شبقاً لافتراسه إنساناً ، فانطلقت تلك الحبيثة هائمة
حتى انتهت إليك وأنت في بطن أمك السعلاة . ذلك لأن بك
ما بالذئب من النهمة إلى اللحم ، والظماة إلى الدم

شيلوخ : مادام قزعك وسبابك لا يححو التوقيع عن الصك فأنت تتعب
رئيسك في باطل . أيها الفتى أصلح ما اعتور عقلك من
التلف ، لثلاث تقع في خبال عقام . هنا القانون حليفي
الدوج : إن بللاريو في ألوكه هذا يوصي المحكمة بأستاذ مقبل الشباب
علم . أين هو ؟

نريسا : ينتظر على مقربة لذن سموكم بالدخول

الدوج : آذنه بارتياح . ليبادر ثلاثة أو أربعة منكم إلى ملاقاته ،
وليصحبوه في الحجى بصنوف الحفاوة ، ولتقرأ في هذه المهلة
ألوكة بلاريو .

المحضر : « قارئاً » « أرفع إلى علم سموكم أنني كنت معتلاً حين
تناولت الكتاب الكريم ، إلا أنه اتفق ساعة قدوم رسولكم
أن عادني صديق في ريعان الشباب متضلعاً من الحقوق ،
سني المتزلة بين علماء رومة يدعى بليزار ، فطرح عليه

مسألة اليهودى ، والتاجر أنطونيو ، وبعد أن راجعنا الكتب
ملياً أقررت رأياً سيطلعكم عليه معزراً بما يضيفه إليه من فيض
علمه الواسع ، وإدراكه السامى ، وقد أجابنى بعد إلحاحى
عليه ، إلى النيابة عنى فى المثول لديكم ، فألتبس ألا يحول
العدد المنقوص من سنه دون ما هو حقيق به من التجلة لعلو
كعبه فى القانون ، وما أذكر أننى شهدت رأساً أشيخ من
رأسه على جسمه ، فهو موكول إلى حفاظكم ، وفضل رعايتكم ،
وفى يقينى أن أعماله ستكون أبلغ فى التوصية به من أقوالى »

الدوج : سمعتم ما ذكره العلامة بللاريو ، وهذا نائبه الفاضل إن
صدق تخمينى

« تدخل برسيا فى زى عالم حقوق »

الدوج : « مستراً » : هات يدك . أقادم أنت من قبل الشيخ
بللاريو ؟

برسيا : نعم يا مولاي

الدوج : على الرّحب والسعة . اجلس . أتدرى المسألة التى تهتم بها
الحكمة الآن ؟

برسيا : أعرف المسألة بتفصيلها . من فى هؤلاء التاجر ؟ ومن

فيهم اليهودى ؟

الدوج : أنطونيوشيلوخ ، تقدما كلا كما

برسيا : أتسمى شيلوخ ؟

شيلوخ : اسمى شيلوخ

برسيا : دعواك غريبة فى بابها ، ولكنها مسوقة سياقا لا يملك معه

قانون البندقية توقيف سيرها « غاطبة أنطونيوش » أو أنت الذى

أمرك الآن منوط بأمره ؟

أنطونيوش : هذا ما يزعمه

برسيا : أتعترف بالصك ؟

أنطونيوش : أعترف به

برسيا : على اليهودى إذن أن يكون رحيماً

شيلوخ : من الذى يضطرنى إلى الرحمة ؟

برسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهى كماء السماء

ينهمل بالخير ، ويهطل باليمن عفواً ممن وهب ، وبركة لمن

كسب . فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة ، فهناك

بهاء قدرتها ، وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك

القائم كانت لهامته أزين من التاج ، وفى يده أقوى من

صولجان الأمر والنهى ، وكان عرشها المنصوص فى قلبه أعظم

تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه لأنها من صفات الله

تاجر البندقية

عز وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوي أقربَ شياً إلى السلطان العلوي منه إذ يُلطفُ العدل بالرحمة ، فيا أيها اليهودي ، مهما يكن من استنادك في دعواك إلى العدل ، فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافين عن الناس . وإنما خاطبتك هذا الخطاب لأنبهك إلى ما في طلبك من التغالي ، بل الإغراق في التقاضي ؛ فإن لبثت على إصرارك مع هذا فلا يسع المحكمة إلا الامتثال لما يوجبه القانون من عقوبة هذا التاجر

شيلوخ : لتقع تبعة أعمال على رأسي . أتثبت بالقانون ، وألح في إنفاذ شرطي

برسيا : أليس في طاقته أن يوفى الدين ؟
باسانيو : بلى في طاقته ، وأنا مستعد لأدائه في هذه الحاضرة ، بل لأداء مثليه ، فإن لم يكتف تعهدت بعشرة أمثال المطلوب تعهداً أفادى عليه بساعدي ، ورأسي ، وقلبي . فإن لم يكتف تبين إذن أن العوج يدُول من الاستقامة ، أو أن الرذيلة ترهق الفضيلة ، فإليكُم أضرع بالخلاف أن تلتفتوا بسلطانكم قدرته على الإساءة ، متوسلين بأدنى الضير ،

للوصول إلى أسنى الخير ، كاجبين بتأييد من الله الرحيم جماع
هذا الشيطان الرجيم

برسيا : هذا ما لا ينبغي كونه . وما من قوة في البندقية تستطيع تشذيب
القانون النافذ . فلو فعل ذلك لأعقبه ما لا يحصى من ضروب
التجاوز قياساً على هذا التجاوز الأول

شيلوخ : ليس قاضينا إلا دانيال ذلك النبي الكريم . أجل هو دانيال .
ألا أيها القاضي الملىء بالحكمة على نصارة عودك ، ما أجل
قدرك في نفسى !

برسيا : أستمح الاطلاع على الصك

شيلوخ : ها هو ذا أيها العلامة الموقر ، ها هو هذا

برسيا : شيلوخ قد عرض عليك ثلاثة أمثال المقدار .

شيلوخ : سبق اليمين . سبق اليمين . حلفت بالله ، أفأحث ؟

لاولوأعطيت البندقية كلها

برسيا : انقضى أجل هذا الصك ، وبموجب الخط الذى فيه حقت

لليهودى قانوناً لبرة من لحم التاجر تبضع مما حول القلب . ليهياً .

كن رحيماً . تقبل ثلاثة أمثال نقودك وأجزئ أن أمزق هذا الصك

شيلوخ : ليمزق بعد إجراء مقتضاه . بيسن أنك قاض جليل ، علم

بالقانون ، فقد شرحت الموضوع شرحاً هو الصحة بعينها ،

فباسم القانون الذى أنت من عماده الراسخات أكلفك

إيقاع الحكم ، وأقسم بنفسى إنه ليس فى قدرة فصيح
من البشر أن يحولنى عن قصدى ، فلا مناص من إنفاذ
حكمى

أنطونيو : ألتمس من الحكمة بإلحاف إيقاع حكمها

برسيا : الحكم يوجب تعريض صدرك لمديته

شيلوخ : يا للقاضى النبيل ! يا للفقى اللبيب !

برسيا : ذلك لأن القانون موافق بمجلاء وثبوت على الحقوق التى خوله

إياها نص الصك

شيلوخ : قول لاريب فيه . أيها القاضى الحكيم العادل . ما أكبر

سبك عقلاً وما أقلها أعواماً

برسيا : اكشف له صدرك

شيلوخ : نعم صدره . هكذا كتب فى الصك . أليس كما أقول أيها

القاضى الشريف ؟ بجوار القلب ؟ هكذا ذكر بالحرف

برسيا : لا معارضة . أوجد هنا ميزان لوزن اللحم

شيلوخ : الميزان معى

برسيا : يجب أيضاً أن يكون هنا جراح على نفقتك يا شيلوخ مخافة

أن يموت الخصم من شدة انتزاف دمه

شيلوخ : أهذا وارد فى الصك ؟

برسيا : لم يرد فى الصك ، ولكنه عمل لإنسانى يحسن بك أن تعمله

شيلوخ : لا أرى ما ترى ، وما لذلك ذكر في الصلح

برسيا : إذن أيها التاجر . ألك أقوال ؟

أنطونيو : شيء غير كثير ، أنا متأهب وصابر . هات يدك يا باسانيو

وتلقّ وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك

فإن المقادير قد رَفَقَتْ بى رفقاً ليس من مألوفها في مثل

مصابى . فمن مألوفها أن تبقى من فقد جأهه حياً ، غائراً

العينين مثقلّ الجبين بالغضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة

أما أنا فلإنها أنقذتني من هذا العذاب الطويل ، وغاية

ما أرجو أن تذكرني بخير لدى عروسك المشرقة : وتخبرها

كيف كانت نهاية أنطونيو ، ونصف مبلغ حبي لك وتبثها

بك ، مما ألم بك حين شهدت ميتى ، فإذا فرغت من ذلك

أن تسألها : « ألم يكن لى صديق ؟ » ثم ألا تعاتب نفسك على

وفاة ذلك الصديق ، فإنه هو غير آسف على لإبرائك من

دينك ، مع علمه أن مدينة اليهودى لوانحرفت ، أو تمادت

قليلاً لدهبت بالقلب كله فداء لك

باسانيو : أى أنطونيو ، لقد شركت في حياتى امرأة أهواها كهواى

للحياة ، غير أننى أكاشفك أنه لا الحياة ولا امرأتى ،

ولا الدنيا كافة بالشىء الذى يعادل عندى بقاءك ، فإنى

لأرضى بفقد أولئك جميعاً ، وتقديم أولئك جميعاً قرباناً

لهذا الشيطان في سبيل نجاتك

١٣٠

برسيا : لو سمعتك زوجك لما أعجبها هذا العرض الذى تعرض
غراتيانو: لى عروس أحبها كل الحب ، وثالله لو علمت أن
إلى السماء وبشفاعتها يلين قلب هذا اليهودى
لسخوت بها

نريسا : الحمد لله أن سماحك هذا إنما ذكر فى غيابها ، ولو
عشما فى رفاء

شيلوخ : « منفرداً » كذا حال الأزواج من النصارى .
وددت لو بنى يهودى حتى من نسل باراباس !
كائنات من كان « جهراً » نحن نضيع الوقت تفصلاً
بالحكم

برسيا : حقّ لك رطل من لحم هذا التاجر ، فخذ ما ثبت لله
القانون وبأمر المحكمة

شيلوخ : يا لك من قاض عادل !

برسيا : ثم لك أن تقتطع الرطل من صدره بموجب القا
المحكمة

شيلوخ : يا للقاضى ! كذا الأحكام : تأهب
برسيا : رويدك . لم نستوف الحكم . الصك لا يجيز لك
قطرة من الدم ، بل نصه بالحرف « من اللحم » ،
ما هو لك . نخذ رطل اللحم ، ولكن إذا سفّ

١٣١

اقتطاعها نقطة واحدة من دم مسيحي قضى عليك قانون
البندقية باستصفاء أملاكك وأموالك ومآلك إلى الحكومة

غراتيانو : يا للقاضي المنصف ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي العلامة !
شيلوخ : أهذا ما يقوله القانون ؟

برسيا : سنطلعك على النص ، لأنك طالب عدل ، فان نرجع
في الحكم إلا إلى العدل ، أدق ما يكون العدل

غراتيانو : يا للقاضي العليم ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي الفضيل !
شيلوخ : أما والحالة هذه فأنا أقبل ما عرض على . ليدفع إلى ثلاثة
أمثال القدر ، ويطلق سراح النصراني

باسانيو : ها النقود

برسيا : مهلاً ، سينصف اليهودي كل الإنصاف . مهلاً لا تتعجل .
سيعطى حقه

غراتيانو : يا يهودي أملئ أن يكون هذا القاضي عادلاً وعالماً كقولك
برسيا : تأهب إذ لا انتزاع البضعة بلا إراقة دم ، واحرص أن تقتطع
الرطل لازيادة ولا نقصاناً . فإذا وجد فرق ، ولم يكن إلا
عشر معشار الذرة ، أو لم يكن إلا مثقال شعرة في رجحان
كفة من الميزان على الأخرى ، قتلت وصودرت أموالك

غراتيانو : هذا دانيال ثان . هذا دانيال يابهودي . الآن قد أمسكت
بتلابيبك

١٣٢

برسيا : ماذا تنتظر أيها اليهودى ؟ خذ حقلك

شيلوخ : أعيدوا لى أصل قرضى وأنصرف

باسانيو : هو معد لك ، ها هو ذا

برسيا : أباه على المحكمة ، فلا بد من أخذه الحق الذى تقاضاه دون

سواه ، كنص القانون بالتدقيق

غراتيانو : دانيال بعينه . دانيال ثان . أشكر لك تعليمى هذه اللفظة

شيلوخ : ألا يرد على أصل مطلوبى ؟

برسيا : لن تأخذ يا يهودى إلا ما هو لك ، فتناوله وعليك تبعاته

شيلوخ : إن كان الأمر كذلك فليحتفظ به ولينصرف عنى لى

جهنم . لن أطيل الإرغاء فى هذا المعنى

برسيا : على رسلك أيها اليهودى ، لم ينته الحكم بعد ، وإن فى

القانون لبقية تعينك . فقد جاء فيه أنه إذا ثبت على أجنبى

توسله بوسائل مباشرة ، أو مداورة للقضاء على حياة واحد

من الأهلين ، حق للمشروع فى الجناية عليه نصف

ما يملكه الشارح فى الجريمة ، وللحكومة النصف الآخر ،

وجعلت حياة المأخوذ بالذنب رهن لإشارة الدوج بانفراده،

فأنا أجهر بأنك تحت طائلة هذا النص ، لأنه ظهر جلياً

أنك بوسائل منحرفة ومباشرة ، تأمرت على حياة المدعى

١٣٣

عليه ، وأرجبت على نفسك ذلك العقاب . فأجثُ والتمس
رحمة الدوج

غراتيانو : أستاذن بأن تنصرف فتقضى على نفسك شنقاً . ولا كانت
أموالك قد آلت إلى الحكومة ، ولم يبق لديك ثمن الجبل
تشرّيه فمماتك سيكون على نفقة الجمهورية

الدوج : إني أمنحك الحياة قبل أن تلتبسها منى ، لتعلم الفرق
بيننا وبينك ، وإذا أبديت ندماً على ما فات منك لطفت
من القصاص الذى يجعل نصف أموالك لأنطونيو والنصف
الآخر للحكومة ، فحولت الشرط الثانى منه إلى غرامة فحسب
برسيا : فيما يرتبط بالنصف الذى يرجع إلى الحكومة ، دون النصف
الذى يرجع إلى أنطونيو .

شيلوخ : خذوا حياتى إلخاقاً لها بالباقي ، فإنكم إذا أزلتم ركن البيت
ذهبت بالبيت . أفأعيش وأنتم لا تدعون لى ما أعيش به ؟

برسيا : بماذا تجود رأفتك عليه يا أنطونيو ؟

غراتيانو : بجبل لا أكثر وأيم السماء

أنطونيو : أضرع إلى مولاي الدوج ، وإلى المحكمة ، أن يترك له نصف
أمواله ، وحسبى ربع النصف الآخر ، على عهد منى بتسليم

ذلك النصف ، حين وفاة اليهودى إلى الرجل الذى تزوج
ابنته ، ولى على تحقيق هذا العهد شرط ، هو أن يوقع الآن
بحضرة المحكمة ، على صك يخرج به عن كل مال فى
حوزته يوم وفاته لصهره لورنزو وكريمته

الدوج : ليفعل أو أسترده عفى

برسيا : أتقبل أيها اليهودى ؟ بم تجيب ؟

شيلوخ : أقبل

برسيا : أيها المخضر ، حرر صك الهبة من فورك

شيلوخ : تكرموا وأذنوني بالانصراف ، فقد انهض عزمى ، ومتى جاعنى
الصك أمضيته

الدوج : لك أن تنصرف ، ولكن إياك ألا توقع

غراتيانو : سيكون لك عرابان حين تنصيرك ، لكننى لو كنت أنا
قاضيك لكان لك بدلما عشرة نفر يحملونك إلى المشتقة
« يخرج شيلوخ »

الدوج : « مخاطباً برسيا : أرجو يا سنيور أن تجيب دعوتى إلى العشاء
الليلة

برسيا : ألتمس خاشعاً من سموكم إعفائى ، فإننى عائد إلى بادوا
من ساعى

١٣٥

الدوج : أنا آسف لهذا الإسراع . اشكر يا أنطونيو لهذا العلامة
صنيعته إليك ، فإنها لكبيرة فيما أظن
« يخرج الدوج والشيوخ بعد مطالعة عقد الهبة صامتين »

باسانيو : أيها السيد المبجل ، إني وصاحبي لصنيعتك منذ اليوم ، بما
أقررت به أعيننا من آيات حكمته ، وربما أنقذتنا من فادح
الخطب ، فنبتهل إليك أن تتقبل ثلاثة آلاف الدوق التي كانت
لليهودى ، لا أجراً وفاقاً ، بل بعض الجزاء لما مننت به
علينا من حسن مساعدتك

أنطونيو : هذا مع بقائنا مدينين لك مدى العمر ، بما هو فوق المال ،
ومع إيجابنا على نفسنا كل "خدمته وكل" وفاء لك إلى آخر
أيامنا

برسيا : كفى بالمبرة مرضاة للبار ، إني لمسرور لكوني أنقذتكما فأعتد
هذا جزاءً وافياً ، ولم أكن قط ممن يقيمون للدینار وزناً ،
ونهاية ما أرغب فيه إليكما هو أن تعرفاني حين نلتقى بعد الآن ،
وأسأل الله لكما النعمة والهناء ، مستأذناً بالانصراف

باسانيو : اغفر لى يا سنيور إلخاى عليك بأن تقبل هدية منا ،
على سبيل الذكرى لجميلك ، لا على سبيل المكافأة ،

وأتشدد في التماس أمرين منك : قبول الهدية ، والصفح عن

الحاحي

برسيا : أراك تلج بلحاجة لا تبقى لي مندوحة من القبول « مخاطبة
أنطونيوس » أعطني قفازيك سألبسهما تذكراً لك « مخاطبة
باسانيوس » وأنت أقبل منك هذا الخاتم علامة على مودتك .
لا تردد يدك . لن آخذ منها أكثر من هذا ، وإخالك مجيبي
إلى ما طلبت

باسانيوس : هذا الخاتم يا مولاي - واشقوتنا ! - أستحي أن أسديك شيئاً
بهذه القيمة الدنيئة

برسيا : بل هو الشيء الفرد الذي أقبله ، والآن قد ازدادت رغبة
فيه

باسانيوس : لهذا الخاتم ثمن معنوي عندي لا مناسبة بينه وبين ثمنه المالى ،
فدعه لي على أن أبتاع لك أعلى خاتم في البندقية ، خاتم أرسل
في التماسه الدلائل والمتادين منبئين في كل جهة . أيكفى ذلك
لتعذرني عن السماح بهذا الخاتم

برسيا : أجد ياسنيور أنك لا تجود إلا بالوعود ، وقد علمتني كيف
أقترح ، ثم تعلمني الآن كيف أ منع ما يثقل على الطبع
من العطاء

باسانيوس : إني يا سيدى متشبت بهذا الخاتم ، لأن امرأتى قد وهبتني

١٣٧

إياه ، واستحلفتني حين وضعته في أصبعي ألا أبيع ، ولا
أسمح به ، ولا أفقده

برسيا : هذا اعتذار يعتذر به غير واحد من الرجال عن إهداء
ما يطلب منهم ، إلا أنني أعتقد أن امرأتك إذا علمت بما
فعلته لا ستحقيق هذه الهبة لم يغضبها تخليك عن الخاتم ، في
الحل الذي تتصوره ، إلا إذا كان بها مس من الجنون .
لا بأس . السلام عليكم « تم بالانصراف »

أنطونيو : « مخاطباً باسانيو » أعطه هذا الخاتم يا سنيور باسانيو ،
ألا تضع خدمته لي وصادقتي لك في كفة من الميزان ،
تقابل الكفة التي فيها نهى عروسك ؟ ! عجل وأهده إليه
باسانيو : إليك يا مولاي المبجل هذا الشيء الذي رغبت فيه ،
قد طابت نفسي عنه لك ، وأنت المتفضل الحميد ،
حياك الله يا مولاي

أنطونيو : حياك الله أيها السيد الأمثل ، ليتك تسمح بزيارتي
الآن مع السنيور باسانيو فتزيدني إحساناً
أعتذر إليك على أسف مني ، لأنني مضطر إلى السفر
عاجلاً

« يخرج باسانيو وأنطونيو ويدخل خادم فيلنغ ورقة إلى نريسا »

١٣٨

نريسا : هذا صك اليهودى قد جرى به الآن
برسيا : لنذهب إلى اليهودى فيوقع عليه حالا ، ثم نبخر من فورنا
لنسبق زوجينا إلى القصر
« يخرجان »

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمنت — شارع أمام قصر برسيا

« يدخل لورنزو وجسيكا »

لورنزو : القمر يضيء إضاءة ساطعة . في مثل هذه الليلة كان
النسيم الخفيف يداعب الأوراق مداعبة لا يسمع لها
حفيف ، وكان ترويل على أسوار طروادة ، يتنفس
الصعداء متلفتاً نحو خيام الإغريق ، ذاكراً حبيبته
كريسيده

جسيكا : في هذه الليلة كانت تسبا تطأ الندى ، ورفع لها طيف
أسد قبل أن ترى الأسد ففرت مروعة

لورنزو : في مثل هذه الليلة كانت ديدون ، وبيدها غصن صفصاف
واقفة على شاطئ البحر تنادى عشيقها وتشير إليه أن يعود
إلى قرطاجنة

جسيكا : في مثل هذه الليلة ذهبت ميده تقطف الأنبتة السحرية التي

بها تجدد شباب إيسون

لورنزو : في مثل هذه الليلة فرت جسيكا من بيت اليهودى الغنى
لاحقةً بعاشقها المخاطر من البندقية إلى بلمنت

جسيكا : وفي هذه الليلة حلف لها محبها اليافع لورنزو أن يهواها إلى آخر
نسمة من حياته ، وقطع لها على الثبات عهداً ، لن يكون
صادقاً في أحدها

لورنزو : وفي مثل هذه الليلة وشت المعشوقة الماكرة جسيكا بمحبها فغفر
لها ما فرط من ذنبها

جسيكا : لولا سماعى خطي قادم لأطلت هذه المحاورة
« يدخل ستفانو »

لورنزو : من السارى بهذه السرعة ؟

ستفانو : صديق

لورنزو : أى صديق ؟ ما اسمك بحق الوداد أيها الصديق ؟

ستفانو : اسمى ستفانو . وقد جئت لأبشركم بأن مولاتى لا تلبث أن

تصل إلى بلمنت وهى هائمة على وجهها ، كلما صادفت

أحد الصلبان المقدسة فى طريقها جثث وضرعت إلى الله

بأن يبارك فى قرانها

لورنزو : من يصحبها ؟

١٤١

ستفانو : لا أحد سوى وصيفتها وناسك . أخبرني متفضلاً : أعاد مولاي ؟

ورنزو : لم يرد نبأ عنه إلى الآن . لنعد يا جسيكا إلى البيت ونهين لربة القصر لقاء لائحة بها « يدخل لنسلو »

نسلو : هيا . هيا . هو . هيا

ورنزو : من ينادي ؟

نسلو : هيا . أرايت المسيو لورنزو ؟ أرايت السيدة قرينة لورنزو ؟ هيا . هو

لورنزو : كفى صخباً ها هما

لنسلو : هيا ، أين ، أين هما ؟

لورنزو : هنا

نسلو : قل لهما إنه جاء بريد من قبل سيدى مملوء الجيوب أخباراً سارة ، وسيكون سيدى فى هذا المكان قبيل الفجر

« يتعد »

لورنزو : هلمى ندخل يا روحى العزيزة . وننتظر عودهما . ولكن لا :

علامّ الدخول . قد أبلغ الصديق ستفانو أهل القصر أن

مولاتك على وشك القدوم ، وقد جاء بالموسيقين إلى هذا

الخلاء ليكونوا فى الهواء الطلق « يتعد ستفانو »

لورنزو : « تمناً » ما أرق ضوء القمر فى انبساطه هادئاً على ،

وجه هذه المرحجة الخضراء . لنجلس ونشنف آذاننا بأنغام الموسيقى ، فإن الظلام والسكوت أفضل مواقع الألحان . اجلسي يا حبيبتي جسيكا وسرحي الطرف في هذا الفضاء العلوي الممدد تمديد المستوى الخشبي الصقيل ، وقد رصع بما لا يحصى من الصّحيفات الذهبية اللامعة . ما من جرم في هذه الأجرام التي ترينها إلا هو ضامٌ نغمته السهاوية إلى خورس الملائكة ذات العيون المملأى صبي ، ومثل هذا الشجي الشائق يتردد في النفس الخالدة ، ولكن الكساء الضافي علينا من نسج الفساد وحمأة الصلصال يحول دون سماعنا ذلك الإيقاع

« يدخل الموسيقون »

لورنزو : تعالوا ، ولتستيقظ ديانا على أصواتكم . أطربوا بمحاسن ألحانكم مسامع سيدتكم ، وليجتذّبها الشوق نحو مستقرها جسيكا : لا أستطيع أن أكون فرحة عندما أسمع موسيقى شعبية لورنزو : ذلك لأنّ قواك تكون صاغية . انظري إلى مقنبة من المهار الوحشية الوثابة ، ولما تبلُ ما بالشكيم والحكم من حكم وألم ، تجديها مندفعة بحرارة دمها الغالى اندفاع ما لا رادّ له ، تفرع الهواء برنات صهيلها . فإذا حملت الريح إليها بغتة عرقاً موسيقياً وقفت جماعة من فورها ، وغلب فعل النغم الذي

١٤٣

سكنت إليه على تلك العزيمة الهمجية التي كانت تتقد في
عينيه ، ولهذا ادعى الشعراء ، وما أخطأوا ، أن أورفه كان
يجذب إليه الأشجار والصخور واللجج ، إذ ما من مخلوق
بلغ ما بلغ من البلادة وجمود الحس والهمجية إلا والموسيقى
تأثير في طبيعته . الرجل الذي لا يشعر بالموسيقى ولا يهزه
الطرب إنما هو مفطور على الغدر والاحتيال والاختيال .
حركات نفسه قطوب كقطوب الظلام ، وأهواؤه سود كأهواء
الريب . وقصارى القول إنه رجل يحذر شره ويتقأ أمره .
لنتسمع للموسيقى

« تظهر برسيا ونريسا من جانب آخر »

برسيا : هذا النور الساطع منبعث من كوة المزاراة الكبرى في
قصرى ، ما أبعد مداه بالإضاءة ، وما أشبهه بالعمل الطيب
في هذا العالم الخبيث

نريسا : لم ننظره قبل أن يغشى السحاب القمر

برسيا : وهكذا المجد الصغير يستغرقه المجد الكبير . يظل رسول الملك
متألق المظهر ، حتى يحىء مولاه ، فيتوارى الرسول في جلال
الملك ، كما يتلاشى الجداول الضعيف في البحر الواسع .
أسمع أنغام موسيقى . لنصنع إليها

- نريسا : هذه موسيقى القصر
 برسيا : قيمة الأشياء أبدأ نسية ، ويخيل لى أن هذه الألمان
 أشجى الآن منها فى النهار
 نريسا : السكوت يا سيدتى يعيرها هذا الطرب
 برسيا : إنما الغراب والقنبراء واحد فى أذن من لا ينصت إليهما ،
 وعندى أن البليل لو غرد نهاراً بين صداح الإوز ، لما أنزل
 من الطرب إلا فى منزلة البويانة . وكم من الأشياء لا يتأتى
 سناء قدرها ، ولا يتسنى لها تمام بهجتها ، إلا من ملاءمة أنها
 أو أينها ، صه ، قد رَقَّ النغم لثلا يستيقظ العاشقان النائمان
 على وساد واحد « ينقطع صوت الموسيقى »
 لورنزو : « قادماً ومخاطباً أحداً وراه » هذا صوت برسيا ، أو شد
 ما أنا خطيئ .
 برسيا : عرفنى كما يعرف الأعمى رنة الواقته ، لسوء ما تشبه
 نغماتها بنغمة الطائر
 لورنزو : على الرحب نزولك فى دارك يا مولاتى
 برسيا : ضرعنا إلى الله استدراأ للخير على زوجينا ، وأملنا أن يكون
 دعاؤنا قد استجيب . أرجعاً ؟
 لورنزو : تقدم بشير بقرب ورودهما
 برسيا : ادخلى القصر يا نريسا ، وأوصى خدى بالألا يبوحو

١٤٥

بغيتنا . وأنت يا لورنزو ، حذار أن تفشى السر ،
وأنت يا جسيكا « يسمع معزف »

لورنزو : هذا معزف قرينك ، فهو قاب قوسين منا . نحن حفظة
العهد ، فلا نخشى أن نكاشف أحداً بما في الضمير
برسيا : يكاد الليل ، وهذا إقاماره ، يشبه بالنهار ، غشيت
السحب شمسها فبدا في حلة من البهار
« يدخل باسانيو وأنطونيو وغراتيانو وأتباعهم »

باسانيو : لو حلّى الليل بطلعتك لكانت الشمس معنا في هذا
المكان وفي مقاطره من الأرض

برسيا : يضيء نوري من غير أن يزدهر ، فإن المرأة البعيدة
الإشراق لا يكون زوجها إلا محققاً غضوباً ، وبودى
ألا تكون ذلك أبداً . إنما يفعل الله ما يشاء . أهلاً
بك يا مولاي في أهلك وسهلاً في سهلك

باسانيو : حياك الله ، وشكر لك عني يا سيدتي تفضلي ورحبي
بصديقي ، هذا أنطونيو هذا هو الرجل الذي أنا مدين له
بكثير

أنطونيو : غير أنني قد كوفت أحسن مكافأة عن كل ما كان
« يحدث حوار بين غراتيانو ونريسا »

برسيا : مرحباً بك في هذا الصرح يا سنيور ، سنحاول إثبات وفائنا لك بغير الألفاظ ، فدعنا من المجاملة الشفوية غير المفيدة غراتيانو : « مخاطباً نريسا » وايم هذا القمر المنير ، لآئت مخطئة بشكواك مني . قسماً بقولي - وإنه لصادق - لم أهد الخاتم إلا إلى كاتب المحامي ، ليت ذلك الكاتب لم يكن ولا السبب الذي أثر فيك هذا التأثير كله

برسيا : ويكما أبدأتما الشجار ؟ علام تختلفان ؟ غراتيانو : على خاتم ذهب لا قيمة له ، أعطتني إياه ، وعليه ، كلمات منقوشة مما يحفر مثله صناع المدي ، وتلك الكلمات هي بلفظها : « أحبيني ولا تتركيني »

نريسا : ما دخل القيمة أو النقش ؟ عندما وهبتك إياه ، أقسمت لي إنك تستبقيه إلى الممات ، بل تستصعبه إلى القبر ، فكان جديراً بك تحرمناً لأيمانك المغلظة أن تحتفظ به . لكنك تزعم أنك جدت به على كاتب محام . وأنا على يقين من أن ذلك الكاتب لم يثبت الشعر في ذقنه

غراتيانو : سينبت له عذار إذا أدرك الرجولة نريسا : أجل ! على تخمين أن الأنثى تصبح ذات يوم ذكراً . غراتيانو : أعزم إنني أهديته إلى غلام مراهق ، ربعة لا ينيف . عليك طولاً ، وهو كاتب القاضي . التمسه مني أجراً

لخدمته ولم أجرؤ أن أضنّ به عليه

بروسيا : إذا وجبت المصارحة بما في الضمير فقد أخطأت بأن منحته

— من غير أن تبصر — أول هدية أهدتها إليك امرأتك

ولا سيما أنها خاتم تقلدته ، مقسماً بالحرص عليه ، وكان

جديراً بأن يستمر لصيقاً بلحمك مدى العمر ، لأنه عربون

الوفاء الزوجي ، على أنني قد أهديت إلى قريني خاتماً من

قبيله ، واستحلفته ألا يطيب عنه نفساً ، فأسأله تتيقن كيقيني

أنه لو بودل عليه بكنوز الخافقين ، لما أخرجه من أصبعه ..

حقاً يا غراتيانو . لقد أحدثت في نفس امرأتك سبباً مثيراً

للشجن ، ولو أحدثت بعلى مثله في قلبي لذهب بلي

باسانيو : « منفرداً » يا للداهية . كان خيراً لي أن أقطع يسراى ،

وأقسم لأنني لم أفقد الخاتم إلا بعد دفاع مجيد

غراتيانو : السنيور باسانيو منح خاتمه للقاضي ، بعد أن لجج في

طلبه ، وكان القاضي خليقاً بأن يعطى ما يشاء ، أما

أنا فقد رغب إلى كاتب سره في الحصول على الخاتم

الذي بيدي ، فعرفت له قدر ما كتب ، وما تعب ،

وحققت أمله . على أنهما كليهما قد عفاً عن كل جزاء

منا إلا هذين الخاتمين

بروسيا : أى خاتم وهبت أيها السيد ، لعله غير الذى أخذته مني

باسانيو : لو استطعت أن أضيف أكذوبة إلى ذنبي لأنكرت ،
ولكنك ترين أن الخاتم ليس في أصبعي ، وقد فقدته
برسيا : ويحك من قليل الإيمان حانث بالإيمان ! آليت بالعلّي العظيم
ألا أدخل سريراً أنت فيه ما لم أجد خاتمي

نريسا : وأحلف مثل حلفتها أو أجد خاتمي
باسانيو : يا سيدتي الجميلة ! لو كنت تعلمين لمن أعطيته ، ومن
أجل من أعطيته ، وبعد أي تمنع أعطيته ، إذ لم يرضه
أي شيء سواه ، لرفهت عليك ، ونخفت من كدرك
برسيا : وأنت لو علمت قيمة ذلك الخاتم ، أو نصف قيمة
الإنسان الذي وهبك إياه ، ولو أدركت أن شرفك
مرتبط بالأ تتخلي عنه ، لما طبت عنه نفساً . ولو تشددت
بعض التشدد الواجب في الدفاع ، لما سمع رجلاً عنده ما قل
من الرقة ، أو الكياسة ، أو الأدب أن يصبر على سلبك شيئاً
له عندك مثل تلك الكرامة . لقد أفهمتي نريسا ما يجدر بي
أن أظنه . وأنا الآن على ثقة من أن الخاتم إنما أهدى إلى
امرأة

باسانيو : لا ياسيدتي ! أعزم على شرفي ، وعلى نجاة نفسي إن
الذي تلقى الخاتم ليس امرأة ، بل عالم حقوق لم يرض
ثلاثة آلاف دوق عرضناها عليه ، وإنما ابتغى خاتمي ،

١٤٩

فبعد أن أبهته عليه ، وكاد ينصرف مغضباً ، مع أنه
منقذ صديقي — ماذا أقول لك أيتها الحبيبة برسيا —
غلبني على أمرى عظمٌ جميله ، واستحييت من ضتي
عليه تجاه تفضيله عليّ ، فلم أجرؤ أن أدع على شرفي
وصمة عار كوصمة هذا الجحود للإحسان ، فاغفري لي
ذنبى يا مليكة لبي ، وأستشهد كواكب السماء ، مصابيح
هذه الليلة البيضاء ، أنك لو كنت حاضرة لأمرتنى أمراً
بإعطاء الخاتم لذلك الذكى العالم

برسيا : حذار أن يدنو عالمك من حرى ، فتالله لو جاء بعد
أن حصل على الحلية التى كانت عزيزة عليّ ، وكنت
حالفاً بالحرص عليها من أجل حبي ، لو جاء لما بخلت
عليه بشيء يطلبه مما لا أبيعُه إلاّ قرينى دون سواه . واعلم
أننى سأعرفه ، فإياك أن تتغيب ليلة واحدة ، وألا ترفقني دائماً
بعيون الحذر ، فإنك إن قصرت فى ذلك ، أو تركتنى يوماً
منفردة فوايم شرفى الذى ما زال ملكى ، لأبينن وضجيجى
ذلك العالم

نريسا : « غاطبة غراتيانو » : وليكونن ضجيجى كتابه إن غفلت عنى
غراتيانو : ليفعل إن استطاع ، ولكن إياه أن يقع فى يدى فأهشم بها
قلمه

- أنطونيـو : يا أسقى ! أنا المسبب لكل هذا الشجار
- برسيا : لا تبال ذلك يا سنيور ، مرجباً بك على كل حال
- باسانيـو : برسيا ! اصفحى لى عن هذه الغلطة التى وقعت برغى ،
وأقسم على مرأى ومسمع من أصحابنا هؤلاء . أقسم بعينيك
اللتين أرى فيهما
- برسيا : يا أيها الرجل الذى هو اثنان فى واحد ، وكذلك يترأى فى
كل من عيني . أقسم بازدواجك هذا أصدق يمينك
- باسانيـو : رحماك ! أصفى لى . تجاوزى لى عن هذه الغلطة ،
وأحلف بنفسى إننى لن أحنث بأيمانى لك بعد اليوم
- أنطونيـو : « غاطباً برسيا » : قد سلف أننى رهنـت من أجله حياتى
وهى تلك الحياة التى كدت أسلبها ، لولا العالم الذى
كوفئ بملك الخاتم ، واليوم أرتهن لك عهدى عنه ،
بأنه لن يحنث عن عهد ، أو على علم منه ، بأى أمر
يكون قد عاهدك عليه
- برسيا : رضيت بك ضامناً ، فأعطه هذا الخاتم ، وأوصه بأن يحرص
عليه أكثر مما حرص من قبل
- « يتناول خاتماً ويدنيه إلى باسانيـو »
- أنطونيـو : تناول هذا الخاتم يا سنيور باسانيـو واحلف بأنك تصونه

باسانيو : وايم الله هو نفس الخاتم الذى وهبته للعالم
 برسيا : من يده تلقيته ، وغفرانك يا باسانيو !
 نريسا : « غطابة غراتيانو » كذلك أنا ألتمس عفوك يا حبيبي
 غراتيانو ، فإن ذلك الفتى المتقاصر ، كاتب القاضى ،
 قد أعاد إلى هذا الخاتم الليلة البارحة
 غراتيانو : غرابة وأى غرابة ! أفرخت لناقرون ولما يحن نباتها ! ما أشبه
 هذه الحالة بالإصلاح الطرقات الجميلة صيفاً حيث لا حاجة
 إلى ذلك الإصلاح
 برسيا : لطف من ألفاظك ! أجلكم جميعاً دهشين « غطابة باسانيو »
 هذا كتاب تقرأه - حين فراغ - كتبه بللاريو من بادوا
 وفيه أن برسيا هى العالم ، ونريسا هى ناموسه . وسيخبركم
 لورنزو أننى سافرت منذ سافرتى ، وأنى إنما عدت الآن قبيل
 عودتكم ، فلم أملك أن أدخل قصرى . أنطونيو مرحباً بك ،
 وإليك نبأ مبهجاً لم يكن فى حساباتك : افضض سريعاً
 هذا الألوك ترّ فيه أن ثلاثة من مراكبك مليئة بأثمن ،
 الأوساق قد بلغت إلى المرفأ سالمة ، بعد اليأس من
 نجاتها ، ولن أذكر لك المصادفة التى أوصلت إلى
 هذا الكتاب قبل انتهائه إليك
 أنطونيو : عى لساني

باسانيو : « مخاطباً برسيا » يا عجباً ! أنت التي كانت ذلك القاضي ولم نتبينك ؟ !

غراتيانو : « مخاطباً نريسا » : يا عجباً ! أنت كنت ذلك الناموس الذي انتدب ليستنبت لي قرنين ؟ !

نريسا : نعم ، ولكن ذلك الفتى لن يفعل ما ذكرت حتى يصير رجلاً
باسانيو : « مخاطباً برسيا » : نعم العلامة الخلابة ، ستكون أيها ،
الأستاذ قسي في سريري ، وإذا أنا غبت ضجيع
امراتي

أنطونيو : « قد أتم القراءة » : يا سيدتي لقد أفضت على جميع النعم
في إفاضة واحدة : الحياة ومقوماتها ، وإن هذا الألوك ليؤيد
تأييداً مانعاً للريب رسو سفنى ناجية في الميناء

برسيا : ثم اعلم يا لورنزو أن في حقيقة كاتبي أنباء تسرك أيضاً
نريسا : أجل ، وسأعطيكها غير مأجورة ، فهذا عقد بموجبه
نزل اليهودي الغني لك ولحسيكا نزولاً قانونياً وثيقاً عن
جميع أملاكه وأمواله بعد مماته

لورنزو : أيتها السيدتان الشائقتان لقد أعديتما المن وأمطرتما السلوى على
الجياح والعطاش .

برسيا : أوشك الفجر أن يلوح ، وما أجده عند أحد منكم إلا رغبة
في الوقوف على تفصيل هذه الحوادث ، فهلما تدخل ،

١٥٣

فتسألونني وأجيبكم بجلاء عن كل ما تستوضحون
غراتيانو : حباً وكرامة . لكنني سأسأل نريسا بادي بدء عما
إذا كانت تؤثر التريث على المبيت إلى الليلة الآتية
أو اغتنام الساعتين الباقيتين من السحر . أما أنا فلو
كان الوقت نهائياً لتمنيت عودة الظلام وقضاء ساعاته في
هناة مع كاتب القاضى ، ولن أخشى ما حييت بعد
الآن إلا أن أفقد خاتم نريسا
« ييتمدان ويهبط الستار »

مطابع دارالعارف بمصر
١٩٧٦

هذا الكتاب

قصة تصور كثيراً من النوازع النفسية والمعاني
البشرية كتبت على شكل أحداث جرت في إيطاليا
تداولتها عنها سائر الأمم . إنها قصة الحب وقصة الطمع
والحقد والجبن التي لا يقدر سوى شكسبير على تلوينها
بقلمه وعبقريته النادرة . إن شخصية « شيلوك » المراهي
اليهودي هي الشخصية التي لا تزال نموذجاً للطمع
والحرص على مر الدهور .

